وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب

التفجير والاغتيال

مسرحيتان

محمد سلام اليماني

من المسرح ٢٣

الانفجار
و
الاغتيال

تصميم الغلاف

عبد العزيز محمد

محمد سلام اليماني

الانفجــار
و
الاغتيــال

مسرحيتان

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١٣م

الانفجار ؛ الاغتيال : مسرحيتان / محمد سـلام اليمـاني . -
دمشق: الهيئة العامـة الـسورية للكتـاب، ٢٠١٣م. -
١٤٤ ص؛ ٢٠ سم.

(من المسرح؛ ٢٣)

١ - ٨١٢,٠٠٨ ي م ا إ ٢ - ٨١٢,٠٠٩٥٦١
ي م ١ إ ٣ - العنوان (١) ٤ - العنوان (٢)
٥ - اليماني ٦ - السلسلة

مكتبة الأسد

من المسرح

«٢٣»

الانفجــار

- **الزمان**: بين عامي (٢٠٠٠) و (٢٠٠٣).
- **المكان**: القاهرة. في الأماكن التالية:

١ - المعهد المسرحي المصري الفرنسي: تجري فيه مشاهد مسرحية جلجامش الأسطورية.

٢ - مشفى الأمراض العصبية الحكومي: موقع أحداث واقعية معاصرة في القاهرة.

٣ - فندق مصر الجديدة: موقع أحداث واقعية معاصرة في القاهرة.

- **المناظر**: جانبا المسرح سواتر ومَمرّات. المنظر المسرحي لكلّ مشهد تعيّنه ستارة تنسدل على صدر المسرح، أو لافتة مكتوبة.
- **الممثلون:**

١ - المرأة : طالبة في المعهد المسرحي الخاصّ المصري الفرنسي، ومدرّسة فلسفة في مدرسة ثانوية حكومية.

٢ - الرجل : زميلها. مثلها.

٣ - القناع : رجل يمثّل أدواراً مختلفة بأقنعة مختلفة.

٤ - جوقة مسموعة: تبقى خارج المنظر فنسمعها ولا نراها.

- **ملاحظة:** يمكن للمخرج أن يوزّع أدوار القناع على عدّة ممثلين. هذه الأدوار هي:

  ١ - مدير المعهد المسرحي.

  ٢ - مدير المشفى.

  ٣ - جلاّد في المشفى بصفة ممرّض.

  ٤ - خادم عند أحد أغنياء مصر.

  ٥ - بوّاب الفندق.

المنظر الأول

خشبة المعهد المسرحي

-١-

حانة سدوري

(ثلاث قطع أسطوانيّة من جذع شجرة تستخدم كمقعدين وطاولة واطئة. في وسط العمق جرّة مغطّاة بغطاء خشبي، وبجانبها طاولة من الجذع المذكور عليها كدسة خبز ملفوفة بقطعة قماش، وأقداح من زجاج أو فخّار مزجَّج، وزجاجة خمر ضخمة مقشّشة).

(إظلام تام وموسيقا: لحن مِمّا يُفترضُ أنه موسيقا حضارة العراق القديمة).

(إضاءة ليلية تدريجية. لا أحد على الخشبة. طرق على باب خارج المنظر، ثم صوت الرجُل)

صوته : (مُرعِداً) يا صاحبةَ الحانة.. يا صاحبة الحانة.. (طرق قوي) افتحي الباب.

(تأتي المرأة من الداخل في زيّ سدوري سائرة نحو مصدر الصوت وهي تحمل بلطة. تقف في وسط المكان تقريباً تنظر إلى الخارج من كوّة افتراضية).

المرأة : (لنفسها) جلجامش. إنه جلجامش.

صوته : يا صاحبة الحانة. (طرق قويّ) افتحي أو أحطّمُ الباب.

سدوري : أتيت أفتح. (تُعلِّقُ البلطة بزنّارها وتسير نحوه) أتيت أفتح.

(تخرج إلى البابِ المفترَض لحظة، ونسمع صوت فتح باب خشبي وإغلاقه خبطاً. تقوى الإضاءة قليلاً وترجع سدوري ووراءها الرجُل في زيّ جلجامش: تاج من الغار. ثياب من جلد مدبوغ. سيف على خصره. جعبة على ظهره. قربة ماء تتدلّى من عاتقه، وفي يده سَوط جلديّ)

جلجامش : (غاضباً صارخاً وهما داخلان) ما هذا التأخّرُ كلّه؟! ولماذا تُرتجينَ بابَ الحانةِ بالرتاج؟!

سدوري : ألا ترانا في آخر الليل وفي بريّة موحشة؟!

جلجامش : هذه حانة لكلّ مسافر، فلا يُغلَق بابها أمامَ أحدٍ في أيّ ساعة.

سدوري : بل يُغلَق اتقاءً لِمِثلك. تخبِطُ عنيفاً وتُهدّد، ثم تدخل فلا تحيّي بل تصرخُ وتعربد.

جلجامش : أخبروني أنك شرسة وأغفلوا أنك وقحة. ولو كنتِ في مملكتي لَجعلتُك أحقرَ بغيّ في المدينة؛ كي تأكلي فضلاتِ الطعام، وتقفي في ظلالِ الجدرانِ وتنامي في الزوايا المظلمة. وكي يلطِمَك السكران والصاحي، وينبذَك الرجال بعد قضاءِ الوطَر.

سدوري : اعرِفْ إذنْ أين أنت. (تشهر البلطة) وإن تفوّهتَ بكلمةٍ وقحةٍ أخرى فسوف يطيرُ رأسُك.

جلجامش : (دافعاً البلطة جانباً بيده) اعرِفي إذنْ مَن تكلّمينه. (مبتعداً عن سدوري) أنا لا أُهينُ مَكانتي بقتال امرأة، ولا أهينُ سلاحي بدم امرأة. أنا الأمجدُ بين الملوك وبين الرجال. أبي هو الإله الشمسُ الذي

أكسبَني البطولةَ والوَسامة. وأمّي كاهنةُ المعرفة، التي أكسبتني الحكمةَ والكبرياء.

سدوري : وأنا لا أرى فيكَ غيرَ الغرورِ والفظاظة، ولا أتوقّعُ منكَ إلاّ اغتصابي.

جلجامش : ومَن تكونينَ أمامَ إلهةِ الخِصبِ عَشتار؟! لقد راودتني عن نفسِها فرفضتها. أهنتها وأبكيتها وجعلتها سخريةَ الآلهةِ والبشر، لأنها أنثى متسلّطةٌ مستأسِدة.

سدوري : وأنا أستأسدُ على أمثالِك. فماذا تريد منّي؟

جلجامش : اهدَئي، اهدَئي يا امرأة. ماذا يريدُ مسافرٌ مِن حانة؟!

سدوري : (تشير إلى الخبز) عندي خبزُ حِنطة.

جلجامش : أكلتُ كبِدَ النمِر نيئاً منذ ساعة.

سدوري : (تشير إلى الجرّة) هذا هو الماء، صافٍ وبارد.

جلجامش : شربت من الينبوع وملأتُ القِربة. لكنّي أمشي من سبع ليالٍ وسبعة أيام..

سدوري : (تقاطعه) هذه حانةٌ للعابرينَ وليست مَنامة.

جلجامش : أنا لا أريدُ النوم. (يسير إلى مقعد ويجلس) أريدُ خمراً قويّاً ينعشُ روحي وبدني.

سدوري : (تدسّ البلطة تحت زنّارها وتسير نحو الخمر) عندي خمرٌ قويّ، لكنك مرهَقٌ ولن تقوى بعدَه على الحركة.

جلجامش : هاتي الزجاجة. (تحمل الزجاجة وقدحاً) الزجاجةَ وحدَها. (تعيد القدح وتعطيه الزجاجة فيعبّ طويلاً) أنت شرسة حقّاً لكنك ساذجة؛ لا تعرفين ما يقدرُ عليه بعض الرجال.

سدوري : رأيت رجالاً كثيرين؛ ضِخاماً وأقوياءَ وأشراراً أيضاً. وكلّهم سقطوا عند قدمي.

جلجامش : كلّ رجلٍ يسقطُ أمامَ المرأة، إلاّ أنا. (يجرع جرعة صغيرة) وكلُّ أنثى هي حمقاءُ ضعيفةٌ مدّعيةٌ إلاّ أنت، لأنك فريدةٌ وقويّة، (وبعد جرعة صغيرة) وذاتُ نفسٍ أبيّة.

سدوري : ماذا بعدَ هذا المديح؟

جلجامش : (بعد جرعة) أريدُ أن تعلمي أنّي لا أحملُ ذهباً ولا فضّة. ولكنْ..

سدوري : (تقاطعه) لا داعي. لستَ أوّلَ مسافرٍ أنفقَ نقودَه أو فقدَها.

جلجامش : أنا لا أحمل نقوداً، وأستغني عنها بِما أصطاده. لكنني حين أرجِعُ من رحلتي سأعوّض عليك أحسنَ تعويض: سآخذك معي إلى مملكتي، وأجعلك آمنةً ومحترَمة.

سدوري : (تجلس) أنا هنا في غاية الأمان. واحترامي لنفسي يقابله الآخَرون بكلّ احترام.

جلجامش : وحدَكِ في أقاصي البراري، عُرضةٌ للّصوصِ وقطّاعِ الطرق؟!

سدوري : حتى هؤلاء.. صاروا أصدقائي.

جلجامش : أنت فتيّة ولا بأس بجمالك، وعُرضةٌ لأن تُغتصَبي.

سدوري : حاولَ أشرارٌ كثيرون فواجهوا حدَّ البلطة.

جلجامش : لكنك تقتلينَ جسدَك الفتيَّ بالعيشِ وحيدة.

سدوري : بل أعيشُ بجسدي كما أشاء. بكلِّ حرّية.

جلجامش : وما الذي ألجأكِ إلى هنا والعيشِ بين المَخاطر؟!

سدوري : (ناهضة) ألجأني مَلِكٌ طاغية. أراد الليلةَ الأولى من جسدي حسْبَ قانونٍ وضعَه لنفسِه. لعلّك تعرفُ ذلك القانون.

جلجامش : اعرفُهُ، فماذا أيضاً؟

سدوري : رفضَ عريسي طلبَ الملكِ، فحَكم عليه بخمسِ سنواتٍ من السخرة. وهربتُ أنا مع أبي واختبأنا في مغارة. ثم انطلقنا نضرِبُ في الأرضِ ونبتعدُ ونبتعد، حتى أقمنا هنا وبنينا الحانة.

جلجامش : (يجلس ويجرع آخر ما في الزجاجة) وأين أبوك فأكلّمه؟

سدوري : أبي نامَ النومةَ الأبديّة. أمّا أنت فقد استرحتَ وشربتَ خمراً فانصرفْ كي أنام.

جلجامش : (بعد أن ينهض ويتمشّى مفكّراً) أجيبيني على سؤالٍ واحدٍ فأتابعُ سفري.

سدوري : وما سؤالُك.

جلجامش : (بعد لحظة تردّد) قبل سؤالي، (يعطيها الزجاجة) هاتي زجاجةً ثانية.

سدوري : أخشى أن تسكرَ وتسيءَ التصرّف، فلا أجيبُ على سؤالك.

جلجامش : كما تريدين. (تعيد الزجاجة إلى مكانها) هذا الكوخ على مفترَق دروب عديدة، وأنت لا شكَّ تعرفين

مَساراتِها ونهاياتِها. فأيُّها يؤدّي إلى الجبلِ الأزرق، حيثُ نهايةُ العالَم؟

سدوري : أنت لا تقصِدُ الجبلَ الأزرق، ولا تقصِدُ نهايةَ العالَم، (تشك حدّ البلطة بجذع الشجرة وتسير نحو جلجامش) بل تقصِدُ الروحَ العظيمةَ الخالدة.

جلجامش : هي مَن أقصِد. فهي الإنسانةُ العظيمةُ الوحيدةُ التي كرّمتها الآلهة، فخلّدتها وملّكتها أسرارَ الكونِ كلِّه.

سدوري : وأنتَ تقصِدُها لتطلبَ ماءَ الخلود.

جلجامش : ما أدراكِ بماء الخلود؟

سدوري : كثيرون جاؤوا قبلَكَ للغايةِ ذاتِها. لكنّ بعضَهم ما عادوا ولا عُرِف عنهم خبر. وبعضُهم عادوا وأكلوا خبزي وشربوا خمري وهم مفلسون.

جلجامش : هل حصلوا على ماء الخلود؟

سدوري : حصلوا على خيبة وانكسار.

جلجامش : هذا يسرّني.. أعني يسرّني أن أسمعَ أخبار السابقين وأفكّرَ فيها. فأخبريني بكلِّ ما تعرفين.

سدوري : كلّ ما أعرفه أنهم ذهبوا أقوياءَ متأمّلين، ورجَعوا عجزةً يائسين. أجسامُهم حطّمَتها دروبُ الجبالِ

الوعرةِ والوديانُ الصخريّةُ السحيقة.. ونفوسُهم حطّمها الفشلُ وانقطاعُ الأمل.

جلجامش : ألم يخبروكِ عن ماء الخلود؟

سدوري : أخبروني أنّ الخلودَ مستحيلٌ وأنّ السعيَ إليه جنون.

جلجامش : هذا كلامُ الحمقى والفاشلين. (سدوري تبتسم) كلّ عاقل يتمنّى الخلودَ ويسعى إليه.

سدوري : وكلّ عاقلٍ يعرف أنه مستحيلٌ وأنّ الموتَ قدَرُ البشر.

جلجامش : هذا قدَرٌ ظالِمٌ ضرورةُ الموت؟

سدوري : الموتُ ضروريٌّ لتستمرَّ حياةُ الجميع.

جلجامش : يا لها مِن حكمةٍ غبيّة!

سدوري : فكّرْ يا ابنَ كاهنةِ المعرفة: لو خلَد جميع الأحياء لضاقت الأرض وعجزت عن إطعام الجميع. وعندها يتصارعونَ ويتناحرون وينتشرُ القتلُ والفظاعة، ولا يبقى على الأرض إلاّ أعنفُ المفترسينَ والقتلة.. أمّا الموتُ المقدَّرُ على الجميعِ فيعطي حياةً للجميع وإن تكنْ محدودة.

جلجامش : الحياةُ المحدودة موتٌ مؤجَّل؛ أيّامٌ ينغّصها هاجسُ الموت وتخلو من السعادة.

سدوري : سعادة الإنسان أن يأكل هنيئاً ويشرب هنيئاً ويُفرحَ أهلَه وعشيرتَه. وما دمتَ ملِكاً فإنّ شعبَك هم أهلك وعشيرتُك. فاعمَل على إسعادِهم تُسعِدْ حياتَك.

جلجامش : حياتي أصبحت مُرّةً تافهةً مقرفة.

سدوري : لستَ كهلاً مريضاً ولا عجوزاً على شفا الموت.

جلجامش : ليت مصيبتي كانت كذلك. لكنني فقدتُ شخصاً أعزَّ مِن نفسي عليّ، ففقدتُ طعمَ الحياة.

سدوري : لا شيءَ يُرجِعُ مَن فقدته حتى خلودُك.

جلجامش : خلودي تعزيةٌ وتعويض. وإن فشلتُ في مسعايَ سأهلِكُ نفسي وألتحقُ بِمَن فقدتُه.

سدوري : (مستنكرة مستفِزّة) أيُّ عزيزٍ يستحقُّ أن تهلِكَ لأجلِه؟!

جلجامش : إنه إنكيدو. صديقي الأوحد. (يسرد حكايته بألم يتصاعد حتى البكاء) مَن اعتبرته أخي وأحببتُه أكثرَ من نفسي مرضَ ومات.. كان عَوني في قهرِ الإلهةِ عشتار، وقتلِ ثورِ السماءِ الذي سلّطته عليّ.. كان

شريكي في قتلِ خمبابا الماردِ حارسِ غابةِ الأرز، وفي امتلاكِ أخشابِها النفيسةِ الغالية.. كان عَوني على وحوشِ الأدغالِ أسوداً ونموراً وضباعاً وفيَلة.. إنكيدو انتهى إلى ما يصير إليه كلّ البشر؛ إلى البيتِ الذي لا يَخرج داخلُهُ والدربِ الذي لا يرجِعُ سالِكُه.. بكَيتُه آناءَ الليلِ وآناءَ النهار. ندبته ونُحتُ عليه سبعَ ليالٍ وسبعةَ أيّامٍ لعلّه ينبعثُ إلى الحياة، فسرحَ الدودُ على جثّتِه ووجهه.. فكيف لا يا صاحبةَ الحانة؟! كيف لا أنوحُ وأبكي عليه؟! كيف لا أهيمُ على وجهي في الجبالِ وفي البراري؟! إنكيدو صاحبي وخليلي.. ما كنتُ لأحزنَ هكذا لو هلَكَ أمامي كلّ البشر.

سدوري : أكان دمُه دماً ودمُ الآخَرينَ ماء؟! (يُعرض عنها فتفتله نحوها بقوّة) كفى نُواحاً وأجبْ سؤالي: أكان دمُه دماً ودمُ الآخَرينَ ماء؟!

جلجامش : إنكيدو ليس كالآخرين. كان وحشاً ولكنّه بهيئةِ إنسان. عاشَ في الغابةِ يرعى العشبَ ويفترسُ الوحوش. فاقتنصه المتآمرونَ من شعبي عليّ، وعلّموه أكلَ الخبز وشربَ الخمرِ وكلامَ البشر، وسلّطوه كي يقتلَني في ساحة البلدة. لكنه كان مِثلي

قوّةً ووَسامةً فأعجبَني. وحين صرعته أرضاً لم أُجهزِ عليه، بل أنهضتُه وواسيتُه وعانقته وجعلته صاحبي.. مِن يومِها صار إنكيدو يدي وسيفي وبلطتي وقوسي وسَهمي. صار شريكَ نهاري وليلي وأحلامي ومغامراتي. صارَ بعضاً منّي فكيف لا أُفجَع بفقده؟! كيف لا أهيمُ على وجهي وأبكي؟! أتنكرين عليّ ذلك؟!

سدوري : نعم، أنكرُ عليك. ولا أصدِّقُ أنّ ملكاً ونصفَ إله يفجعُ بفقدِ أحد.

جلجامش : (وهو يهزّها بيديه) وهل يخلو قلبُ ملِكٍ من عاطفة؟!

سدوري : (وهي تهزّه بيديها) إن كان أنت.

جلجامش : (يهزّها بقوّة) ماذا تعرفينَ عنّي؟

سدوري : (تدفعه) أعرفُ ما أعرفُه. ألستَ مَن يوقظ شعبَه بقرعِ طبوله، ليؤخذوا إلى السُخرة المهلكة؟

جلجامش : بالسخرةِ بنَيتُ مدينتي وحصّنتها فحميتُ شعبي.

سدوري : وهل أبقَيت شابّاً لأبيه إلاّ أزهقتَ روحَه بحروبِ مجدكَ وتوسّعاتِك؟

جلجامش : حروبي كانت لأمنِ شعبي وإكثارِ خيرِه.

سدوري : وأيُّ خيرٍ نالَهُ الشعب من جبروتِك؟

جلجامش : أأنتِ صمّاءُ لا تسمعينَ أم بلهاءُ لا تفهمين؟! لولا جبروتي لَجاعَ شعبي وأهلَكه أعداؤه.

سدوري : وحقُّ الليلةِ الأولى مِن كلّ فتاةٍ عروس، أكان لِخيرِ الشعبِ وبقائه؟

جلجامش : نعم، لِخيرِه وبقائه. رِجالُ شعبي ضعافُ الجسمِ ضعافُ الشجاعة. فوهَبْتُهم ذرّيةً قويّةً جبّارة، فلاّحةً ومحارِبة. أنا الراعي الذي جعل غنمَه أقوى من ذئابِ الغابة.

سدوري : بل الراعي الذي يفترس غنمَه. هذا أنت يا جلجامش. وأنا سِدوري، فهل عرفتَني؟

جلجامش : (لنفسه) سدوري، سدوري.. (ثم لها) الآن تذكّرت. رأيتك مرّةً في موكبِ زواجٍ وكان ما كان يومذاك.. أمّا الآنَ يا سدوري، فسوف آخذك إلى مملكتي وأُعلي شأنك أمام الجميع.. إن أرشدتِني إلى الروحِ العظيمة.

سدوري : كفاك وهماً بماءِ الخلود.

جلجامش : خلودي ليس وهماً وكلّي ثقة.

سدوري : (بتهكّم خفيف) ثقةٌ بأبيكَ الشمسِ أم أمِّك الكاهنة؟

جلجامش : بل بِحلُمٍ رأيتُه بعدَ دفنِ صديقي.

سدوري : وهل تصدِّقُ أحلامَك؟!

جلجامش : أحلامي كلّها لا تكذب. رأيتُ الآلهةَ اجتمعوا يتجادلون بشأني وشأنِ صديقي الذي فقدته. قالوا هذا جلجامشُ قد عاقبناه على إهانةِ عشتارَ بِموت صديقه، لكنه ابنُنا ولو كانت أمّه إنسانة، ولا يليقُ أن نتركَه للخزيِ والحزنِ أمامَ البشر، وسوف نعوّضُه بالخلود، إن استطاعَ الوصولَ إلى الروح العظيمة.

سدوري : لو كان هذا حقيقاً لدلّوكَ على دربها.

جلجامش : الآلهة يقولون ما يشاؤون.

سدوري : لِمَ لم تسألهم أنت؟

جلجامش : أنا كنت نائماً فكيف أسأل؟! لكني انطلقت في رحلتي أسألُ وأسأل. وها أنا الآن أسأل.

سدوري : وأنا سوف أرشدُك.

جلجامش : وسأعطيكِ ما تشائين ذهباً وفضّةً حينَ أرجع.

سدوري : أنا أريدُ أمراً أعظم.

جلجامش : سأجعلُكِ زوجتي وشريكةَ مُلكي، وتجلسين جَنبي على كرسيِّ عرشي.

سدوري : أريدُ أمراً أعظم.

جلجامش : ها أنا ذا أركع أمامَك بتواضع. (يفعل) وأعتذر عن ظلمي لشخصكِ وعريسك.

سدوري : أريدُ أمراً أعظم.

جلجامش : لم يبقَ ما هو أعظم. فماذا تريدين؟

سدوري : أريد وَعداً واحداً لا أكثر.

جلجامش : إن كنت أقدرُ عليه فسوف أنفّذُه.

(فترة صمت قصيرة مع موسيقا وشروق الشمس)

سدوري : عِدني إن رجَعت إلى مملكتِك، أن تأخذَ الناسَ بالرحمة والعدالة. (يُعرض عنها قليلاً فتلاحقه وتواجهه) لسوف أصفحُ عنك من كلّ قلبي. ولسوف يغفرُ لك الناسُ كلَّ ظُلامةٍ، بل يحبّونك ويمجّدونك. سينصبُونَ تماثيلَك في كلّ ساحة، وينقُشونَ أمجادَكَ على البوّاباتِ الحجريّةِ العالية.. وهكذا يخلّدونَ ذكراكَ إلى الأبد.

جلجامش : أريدُ تخليدَ جسدي وروحي أيضاً.

سدوري : اخلُدْ إن استطعتَ يا جلجامِش. وسواءٌ خلدتَ أم لم تخلُدْ لا بدَّ من العدالة.

جلجامش : سأجعلُ شعبي أسعدَ كلِّ الشعوب، وأجعل عاصمتي منطَلَقَ الخيرِ والعدالة.. فمِن أين دربي؟

سدوري : تخرج من الباب وتنعطفُ إلى جهةِ الشَمالِ وتمشي، فتقودُكَ الدربُ إلى الجبلِ الأزرق.. وتمضي إلى القمّة الأخيرة.

جلجامش : وبعد ذلك؟

سدوري : لا شيء بعد ذلك، فتلك نهايةُ العالَم.

جلجامش : وأين تكونُ الروحُ العظيمة؟ وكيف أعثُر عليها؟

سدوري : تراها في ذِروة القمّة، إن صدقَ الزاعمون.

جلجامش : (يهمّ بالخروج) سيصدُق الزاعمون.

سدوري : انتظر، لا تذهب. (تحمل إليه الخبز) ضع هذا في جعبتك.

جلجامش : هاتي. (يضع الخبز في الجعبة) الخبزُ يؤكَلُ أيضاً. (يخرج)

(ضربات موسيقية. تخفت الإضاءة)

-٢-

مع مدير المسرح

(القناع ينهض من أوّل مقعد في الصالة وهو يصفّق ويهتف صاعداً إلى خشبة المسرح)

القناع : أحسنتما.. أداءٌ بتقنيّةٍ عالية، أحسنتما وأبدعتما.

(تقوى الإضاءة ويعود الرجل من الكواليس فينحني مع زميلته للقناع بتحيّة كلاسيكية)

المرأة : (مع التحية) شكراً سيّدي وأستاذي.

الرجل : (مع التحية) سيّدي وأستاذي ومديرَ المعهد.

القناع : هذا مشروعُ تخرّجٍ أفتخرُ به، وسوف تفتخرُ به مِصرُ وفرنسا.

المرأة : هل سنعرِضُه في مِصرَ وفرنسا أيضاً؟

القناع : لقد قرّرتُ ذلك الآن.

الرجل : لكنه مشهدٌ تدريبيٌّ قصير.

القناع : لقد اختَرتُهُ لحفلِ التخرّج، وسوف أختارُ المشاهدَ المتميّزةَ الأخرى، التي يقدِّمُها بقيّةُ الطلاّبِ والطالبات، وأجعلُ منها عرضاً مسرحيّاً مهمّاً، وأقدّمُه في المدنِ المصريّةِ الكبرى، وفي فرنسا.

الرجل : (مقاطعاً بلطف) لكنْ سيّدي..

القناع : لا تقطعْ بهجتي أرجوك. هذا المشهدُ تنقيبٌ ذكيٌّ في الأدبِ الشرقيِّ القديم، يبرزُ بعضَ ما فيه من أساطيرَ إبداعيّةٍ خالدة، تصلُ حضارةَ الشرقِ القديمِ بِحضارةِ الغربِ المعاصِر.

المرأة : باسمي وزميلي أشكرُكَ بحرارة. ونرجو أن تسمحَ لنا أن نفاجئك، بِمشهدٍ إضافيٍّ أعدَدناه منذ أيّام، وتدرّبنا عليه بسرعة، وجعلناه خاتمةَ الحكاية،

الرجل : (مكملاً) مع أنه ليس من حكايةِ جلجامش، بل التراثِ الدينيِّ الشرقيِّ القديم.

القناع : أنتما مشهوران بالتنقيبِ والأفكارِ الفنّيةِ المبتكَرة. لكنّي وإن كنتُ مستشرقاً وباحثاً في جميعِ الأديان، لا أشجِّعُ طلاّبي على مَسرحةِ الدين في معهدي، خوفاً عليهم من المُخاطَرة.

المرأة : المخاطَرةُ بِماذا سيّدي؟

القناع : بانتهاكِ المقدَّساتِ وإثارةِ الفِتَنِ الدينيّة.

الرجل : فكرة مشهدِنا توافقُ الأديانَ ولا تنتقدُها،

المرأة : (مكملة) وهدفُنا من هذا المشهد أن يكون جسراً أو مجال التقاء، بينَ قيم الرسالاتِ الدينيّةِ الشرقيّةِ القديمة، وقِيَمِ الفلسفاتِ الاجتماعيّةَ الغربيّةِ الحديثة.

المرأة : فاسمحْ لنا بعرضِهِ واحكُم بعدَ ذلك.

القناع : كما تريدانِ كما تريدان. أرى وأسمعُ ثم أحكُم. (يعود إلى الصالة)

الرجل : (للكونترول) كونترول.. المشهدُ الثاني من جلجامش. (ويخرج مع المرأة إلى الكواليس)

(إظلام تدريجي وموسيقا)

-٣-

قمة جبل نهاية العالَم

(إظلام تام) (ثلاث دقّات قويّة على الصنج)

(نسمع جوقة خارج المنظر ترتّل مِن سِفر الجامعة في ظلام على المنظر، ثم في إضاءة تدريجية)

الجوقة : أعطِ نصيباً لسبعةٍ وثمانية، لأنك سوف تحتاجُ فيعطيك سبعةٌ وثمانية. أعطِ نصيباً لسبعةٍ وثمانية، لأنك سوف تحتاجُ فيعطيك سبعةٌ وثمانية، ومنفعةُ الأرضِ للكلّ. ارمِ خبزَك على وجه الماء ليأكلَ سمكُ الماء، وانثر حَبّك على وجه الأرض ليأكل طيرُ السماء، ومنفعةُ الأرضِ للكلّ. منفعةُ الأرضِ للكلّ. هكذا يفرحُ الناسُ ويفرحُ الله. هكذا يفرحُ الناسُ ويفرحُ الله.

(الإضاءة الضبابيّة تتحوّل إلى زرقاء ثم ماسيّة ساطعة، وتدخل المرأة في زيّ الروح العظيمة)

الروح : جلجامش.. جلجامش.. أين أنت يا ملِكَ العالَم؟

(جلجامش يأتي من الخارج. سيفه ذهبي. وتاجه ذهبي ضخم مرصّع بالجواهر)

جلجامش : (داخلاً ومحيّياً بإجلال) أيتها الروح العظيمة.

الروح : (معاتبة بقوّة) أخيراً أتيت؟!

جلجامش : تأخّرتُ أيّاماً قليلةً لا أكثر.

الروح : ملِكُ العالَمِ لا يتأخّرُ عن موعدِه.

جلجامش : أيتها العظيمةُ الخالدة، شغلَتني مصالِحُ البشر.

الروح : ولأجلِها استدعيتُك.

جلجامش : أنا الآن طَوعُ أمرِك.

الروح : أتذكرُ يومَ وقفتَ هنا أوّلَ أمرِك؟

جلجامش : كيف أنسى ذلك اليوم، وفيه وهبتِني ماءَ الخلودِ بأمرِ الآلهة؟!

الروح : بل بأمرِ الله. وكنتَ آنذاكَ جاهلاً كبقيّةِ الناس، وتتخيّلُ قدُراتِ اللهِ في صورٍ تسمّيها آلهة. وقد خاطبتُكَ يومَذاكَ على قدْرِ عقلِك.

جلجامش : سامحيني. كانت زلّةَ لسانٍ من ذكرياتي القديمة.

الروح : فهل تتذكرُ الوعدَ الذي قطعتَهُ للسماء، كي تمنحَكَ الخلود؟

جلجامش : أذكرُ أني وعدتُ بنشرِ الخيرِ والعدالةِ بين جميعِ البشر، وعلى مرِّ الزمان.

الروح : أتذكرُ كم مضى مِن الزمانِ على وعدِك؟

جلجامش : وهل يَحسُبُ خالدٌ سنواتِ الزمان؟!

الروح : اللهُ لا يغفَلُ عن حسابِ الزمان.. وقد مضى على الوعدِ ثلاثةُ آلافِ عامٍ وآنَ أوانُ حسابِك.

جلجامش : (كاتماً خوفه وغضبه) استدعيتِني لتحاسبيني؟!

الروح : نعم، وبأمرِ الله.

جلجامش : وماذا بعدَ الحساب؟

الروح : سأنهي وجودَك.. أو أبقيكَ من الخالدين. فماذا حقّقتَ من وعدِك؟

جلجامش : إنها ثلاثةُ آلافِ عامٍ فماذا وكيف أتذكّر؟!

الروح : الحبّةُ شاهدٌ على البيدر. والشجرةُ شاهدٌ على الغابة.

جلجامش : أيّةَ حبّةٍ أختار، وأيّةَ شجرة؟

الروح : أنا أختارُ وأذكِّرُك. ماذا فعلتَ بِمَمالك الأرض؟

جلجامش : فعلتُ ما أمرتِني به يومَذاك؛ وسّعتُ مملكتي حتى شمَلت كلَّ الممالك.

الروح : ماذا عن شعوبِ تلك الممالك؟ هل حَكمتَها بقوّةِ الحقِّ أم بحقِّ القوّة؟

جلجامش : حكمتُها كما أحكمُ شعبي؛ نشرتُ الخيرَ والعدالة بين الجميع.

الروح : أيكونُ خيرٌ وعدالةٌ والسيفُ على رقاب الجميع؟!

جلجامش : القوّةُ يدُ العدالة.

الروح : القوّةُ يدُ الظلمِ أيضاً، فيا لها مِن حكمة!!

جلجامش : الحكمةُ ما ينفعُ الناسَ وقد فعلتُ ما ينفعُ الناس؛ اتركي المحكومَ لشأنِه يتمرّدْ على حاكِمه فتسيلُ الدماء. اتركي الجنديَّ لشأنه يهربْ أمامَ العدوِّ ويسلّمْ له البلاد. اتركي الفلاّح لشأنِه يجلسْ كسولاً في ظلِّ كوخِه، فتمتلئُ الأرضُ شوكاً وينقطعُ الغذاء.

الروح : ألم تتساءلْ لماذا يتمرّدُ المحكومُ ويهربُ الجنديّ؟ ولماذا يتقاعسُ الفلاّح؟

جلجامش : أنا لا أسألُ ولا أتساءل، لأنني أنا جلجامش. أنا الذي رأى كلَّ شيءٍ وعرَفَ كلّ شيء.

الروح : اثنان خيرٌ من واحدٍ وثلاثةٌ خيرٌ من اثنين.

جلجامش : لماذا اثنانِ ولماذا ثلاثة؟

الروح : إذا اضطجعَ اثنانِ يدفآن. أمّا الواحدُ فكيف يدفأ؟

جلجامش : إن عجزَ الواحدُ عن ثوبٍ أو جلدِ حيوانٍ فلا يستحقُّ أن يدفأ. وإن عجز عن بيتٍ أو كوخٍ أو مَغارةٍ فلا يستحقّ أن يدفأ.

الروح : اثنان خيرٌ من واحدٍ وثلاثةٌ خيرٌ من اثنين. إن سقطَ واحدٌ أقامَه رفيقه أو رفيقاه، وويلٌ لِمَن هو وحدَه حين يسقط. والخيرُ ليس في واحدٍ بل الخيرُ في الكلّ.

جلجامش : الكلّ باطلٌ دون واحدٍ يكون رأسَ الكلّ.

الروح : أمِن يدِ اللهِ أن يطغى واحدٌ على الكلّ؟!

جلجامش : بل مِن يدِ الكلّ؛ هم القطيعُ الذي يحتمي براعيهِ ويمشي بإشارته.

الروح : فلماذا يهرب الجنديُّ إن استطاعَ الهرب؟

جلجامش : لأنّ الجبنَ مِن جبِلّة الناس.

الروح : كلاّ. لأنّ دمَه يراق لأجلِ غيرِه. (ينفتل عنها فتلاحقه) ولماذا يتكاسلُ الفلاح في ظلِّ كوخه؟

جلجامش : لأنّ الكسلَ من جبلّة الناس. والجِبلّة مِن يد الله.

الروح : أمِن يدِ الله أنّ يداً تزرع كلَّ زرعٍ وتأكل خبزَ شعير، ويدٌ تمسك السوطَ فتأكل خبزَ حِنطة؟

جلجامش : لا فرقَ بين شعيرٍ وحِنطة، ما دام الكلُّ يفنى والموت مِن يدِ الله.

الروح : فهل مِن يدِ الله أن أشقى أنا ويسعَدُ آخَر؟!

جلجامش : أليس من يد الله أنّ هذا عبدٌ وهذا سيّد؟ هذا حَمِقٌ وهذا عاقل؟ هذا غبيٌّ وهذا ذكيّ؟

الروح : أمِن يدِ الله بُطْلٌ مكانَ الحقِّ وجَورٌ مكانَ العدالة؟! هي ذي دموعُ المظلومينَ دائمةٌ ولا عزاءَ لهم ولا يأمَلونَ بخلاص. يغبطون الذين لم يولدوا فلا يرَون ما يجري ولا يتألّمون. ويغبِطون الموتى لأنهم لا يرَون طمعَ الإنسان بتعب قريبِه وأكلَه لحمَ أخيه. هذا هو باطلُ الأباطيل.

جلجامش : نعم، هو باطل الأباطيل؛ عاشقُ الفِضّةِ لا يشبعُ من الفضّة. والطمعُ مِن جبلّةِ الناس.

الروح : بل من جبلّة الأقوياء. وكلّما كثُرَت الخيراتُ ازدادَ آكِلوها، ولا منفعةَ لصاحبها غيرَ رؤيتِها بعينه.. لكنّ فوقَ العالي علِيّاً يرى ويسمع.. ولسوف يَحكُم.

جلجامش : وهل عملتُ أنا غيرَ ما يعمل؟! أليس هو الأقوى الذي يحكمُ الكلّ؟!

الروح : لقد أعماكَ غرورُ القوّة، فتمادَيتَ حتى على الله.

جلجامش : أنا لم أقصِدْ هذا يا عظيمة.

الروح : انصرِفْ واعدُدْ أيّامَك الباقية.

جلجامش : (يخرّ راكعاً على ركبتيه) أنا آسفٌ نادمٌ ومستغفر. أعترفُ أنّي مخطئ،

الروح : كان عليك أن لا تخطئ.

جلجامش : أنا اعتذرتُ فسامِحيني.

الروح : لستُ أنا مَن يسامِح. وما أنا إلاّ وسيلةٌ في يدِ الله.

جلجامش : ما مصيري إذنْ، ما مصيري؟

الروح : انصرِفْ واعدُدْ أيّامَك. وقريباً تكونُ من الهالِكين. قريباً تكونُ من الهالكين.

(ضربات موسيقية وإظلام مفاجئ ثم إضاءة)

-٤-

مع مدير المسرح

(الرجل والمرأة ينحنيان للصالة بتحيّة مسرحيّة كلاسيكية، ثم يستقيمان ويفتحان ذراعيهما باتجاه القناع الجالس في الصالة، كأنما يريدان أن يحتضناه، فيصعد نحوهما واجماً)

الرجل : (للقناع) المشهدُ صدمةٌ فكريّةٌ فنّية، أليس كذلك؟

القناع : بل هو تجربةٌ فاشلةٌ وخاليةٌ من الفنِّ وتُفسِدُ مشروعَ التخرّج. ويجبُ إلغاءُ المشهدِ أو استبداله قبل نهايةِ الامتحانات. وإلاّ فلا نجاحَ لكما ولا تخرّج، ولا عرضَ في مصرَ ولا فرنسا.

المرأة : أخبِرنا أوّلاً ما العيبُ في هذا المشهد؟

القناع : إنه ليس حادثةً مسرحيّةً بل مجادلةٌ فكريّةٌ مستمرّة، وهي من دراستِكما في كليّةِ الفلسفة.

الرجل : المشهدُ ليس من كتبِ الفلسفة، بل من سِفرِ الجامعةِ في الكتاب المقدّس، وحسبَ توجيهِك.

القناع : أنا وجّهتُ إلى البحثِ عن المشترَكاتِ بين الشرقِ القديمِ والغربِ المُعاصر.

المرأة : ونحن اختَرنا الكتابَ المقدَّس، لأنه أساسٌ مشترَكٌ للثقافتينِ اليهوديّةِ والمسيحيّةِ في العالَم كلِّه، فهو من أقوى المشترَكاتِ بينَ الشرقِ القديمِ والغربِ المُعاصر.

الرجل : أمّا اختيارُنا لسِفرِ الجامعة، فلأنه يوحّدُ البشريّةَ كلَّها على فكرةٍ عادلة.

القناع : هذا ادّعاءٌ وتبرير. والحقيقةُ أنكما انتزعتما جُملاً معيّنةً من سفر الجامعة، وأخرجتماها عن هدفِها الدينيّ من إصلاحٍ وتعاطُفٍ وإحسان، وجعلتماها دعوةً اشتراكيّةً ثوريّة، تقسمُ المجتمع إلى معسكرَين وتحرّضُ على الصراع. هذا تلاعبٌ واستخدامٌ خبيث.

المرأة : نحنُ لم نتخابث ولم نتلاعب وقدّمْنا الأفكارَ بأمانة. وسِفرُ الجامعةِ موجودٌ ويمكنك المقارنة.

القناع : مهما تكلّمتُ فلا فائدة.. في دماغَيكما فكرةٌ حاكمةٌ مسيطرة.. في دماغَيكما جرثومةٌ فلسفيّة.

الرجل : بل جوهرةٌ وجدناها في أقدمِ كتابٍ دينيٍّ يخصّك، فلماذا ترفضُ أن نكشِفَها للكونِ كلّه؟!

القناع : لأن الدين لا يعلِّمه مُلحدانِ يزوّرانِه. ولأنّي أعرَفُ منكما بتراث أمّتي وبقوميّتي اليهوديّة.

المرأة : اليهوديّةُ ليست قوميّةً بل هي دين فقط.

الرجل : ونحنُ لسنا أطفالاً ولا جهلاء.

القناع : انصرفا من أمامي؛ أنتما راسبان.

الرجل : (بعد أن يتبادل نظرة خاطفة مع المرأة) يشرّفُني أنّا رسبْنا عندَكَ ونجحنا مع الحقيقة.

القناع : كفى. اخرُجا من معهدي دون عودة. أنا أطردكما.

المرأة : الطردُ أشرفُ من البقاءِ عندَك.

الرجل : ولن نكفَّ عن دعوتِنا للعدالة، وكشفِ المسألةِ اليهوديّة.

(إظلام مفاجئ)

المنظر الثاني

مشفى الأمراض العصبيّة الحكومي

-١-

مكتب مدير المشفى

(إضاءة تدريجية) (الرجل والمرأة بثيابهما العاديّة، يذرعان المكان متقابلين جيئة وذهاباً)

(يدخل القناع في زيّ طبيب فيبادران إليه)

الرجل : هل أنت رئيسُ المشفى؟

المرأة : هل أنت كبيرُ الأطبّاء؟

القناع : مهلاً، مهلاً، مهلاً. أنت مدرّسُ الفلسفةِ الذي طُرِدَ من معهدِ التمثيل؟

الرجل : أنا مدرّسُ الفلسفةِ الذي طُرِدَ من معهدِ التمثيل، ومِن سِلكِ التعليمِ أيضاً.

المرأة : وأنا زميلته.

القناع : أنا رئيسُ المشفى، وكبيرُ أطبّاءِ الصحّةِ العصبيّة.. والعقليّة.

الرجل : سيّدي، نحن هنا كالمساجينِ منذ أسبوع، ولا يسمحون بمقابلتك.

القناع : لأنّي كنتُ مشغولاً بقضايا كثيرة، (يخرج من جيب مئزره كتاباً) فما حكايةُ هذا الكتاب؟

المرأة : (تأخذ الكتاب وتشير به) إنه في تاريخِ المسألةِ اليهوديّة، ألّفته أنا وزميلي باسْمَين مستعارَين، ووزّعناه سرّاً.

الرجل : لكنّ استخباراتنا عرفَت وقبضت علينا، (يأخذ الكتاب ويشير به) وحاكمَنا قضاةُ أمنِ الدولةِ على كتابٍ تاريخيٍّ موثَّق، بِما اعتبروهُ جرائمَ كبرى بِحقِّ البشريّة. فالنائبُ العامُّ الذي يمثّلُ شعبَنا، هاجَمنا كأنه يمثّلُ الصهيونيّةَ العالَمية، فاتّهمَنا بالعداءِ للساميّة، والسخريةِ من المِحرَقةِ اليهوديّة، والتحريضِ على

شعبٍ صديقٍ مُجاورٍ. مع أنّ هذه التهَمَ كلَّها إن كانت صحيحة، لا يشملُها أيُّ قانونٍ مصريّ.

القناع : إن حدثَ هذا فهو عتابٌ وتنبيه، فلم يصدرْ بشأنِكما حُكمٌ أو عقوبةٌ بشأنِ المسألةِ اليهوديّة.

المرأة : لكنّهم عاقبونا بجرائمِ الإخلالِ بأمنِ الدولة: وأكبرُها تأييدُ التطرّفِ الإسلاميِّ والإرهاب، ومقاومةُ التزام دولتِنا بمعاهدةٍ ، والتحريضُ على السياسةِ الخارجيّةِ لدولتِنا، القائمةِ على التزامِنا بمكافحةِ الإرهاب، وعلى التقيّدِ بالمعاهداتِ وبالسلامَ والاعتدال.

القناع : كفى يا امرأة. هل كانت الأحكامُ بقانونٍ أم دونَ قانون؟

الرجل : قانونُ الطوارئِ يلغي كلَّ قانونٍ ويُخضعُ شعبَنا كلِّياً لأمريكا، واتفاقيّةُ كامب ديفيد تُخضعُ شعبَنا كلّيّاً لإسرائيل.

القناع : هذا رأيُكما وهو خاطئ. وقانونُ الطوارئِ قانونٌ يقِرُّه مجلسِ الشعب.

المرأة : بل خرِسَ عنه ما يسمّى مجلِسِ الشعب.

الرجل : وتواطأَ عليهِ ما يسمّى مجلسَ الشعب، مع أجهزتِنا البوليسيّةِ والعسكريّة.

المرأة : وهو ليس من تشريعاتِنا القانونيّةِ ومخالِفٌ للدستور.

الرجل : ويلغي حرّيةَ البحثِ والاعتقادِ والتعبير، وخصوصاً في المسألةِ اليهودية.

القناع : (يأخذ الكتاب ويشير إليه) وأنتما بِهذا الكتابِ تحارِبانِ التزاماتِ دولتِنا وقانونَ الطوارئ. وقد تصرّفتما بِما تعتبرانِهِ مسؤوليّة. والدولةُ بالتالي تصرّفَت بِمسؤوليّة. فالطرفانِ متعادلان.

المرأة : كيف تقولُ: متعادلان؟ اعتقالٌ وإهانةٌ وتعذيبٌ وسَجنُ سنتَين..

الرجل : وغرامةٌ ضخمةٌ وتسريحٌ من الوظيفة، ومَنعُنا من التدريسِ في أيّةِ مدرسة.

القناع : لكنّكما خرجتما من السِجنِ فاستأنفتما توزيع الكتاب، بلا تعقّلٍ ولا تفكيرٍ في العواقب، فقدّمتما للشرطةِ مبرّراً كافياً لاعتقالِكما وإحضارِكما إلى هنا، واتهامِكما بالجنون.

المرأة : اقرأ فتعرفْ أين العقلُ في عالَمنا الآنَ وأين الجنون.

القناع : (يشير بالكتاب) مضمونه كلّه في العنوان. (ثم مشيراً إلى العنوان الكبير والفرعي بمبالغة تهكّميّة)

الثأرُ الأبديّ.. كيف صارت مِحرقةُ اليهودِ محرقةً للعالَم. لقد فرَغتُ من قراءته منذ قليل؛ (يعطي الكتاب للرجل بلا اهتمام ويتابع لكليهما) ففي إضبارتيكما نسختان.

الرجل : (فاتحاً الكتاب) وهل وجدت فيه حماقةً منّا أو جنوناً أو جريمة؟

القناع : وجدتُ حماقةً أخطرَ من جريمة، ودليلاً على أنكما ساذجانِ وجاهلان، ولا تعرفان خطورةَ البحثِ في المسألةِ اليهوديّة، وخصوصاً في المحرقة.

المرأة : المحرقةُ القديمةُ صارت حُجّةً صهيونيّةً مستمرّةً لإرهابِ العالَم كلِّه، وللثأرِ التوراتيِّ الأبديّ، والابتزازِ الماليِّ اليهوديِّ الأبديِّ أيضاً.

الرجل : وعلى كلِّ مثقّفٍ شريفٍ في هذا العالَم، أن يفضحَ هذا الإرهابَ والابتزاز.

المرأة : هذا كلّ ما فعلناه، فكانت نهايتنا في مشفاك.

القناع : (بابتسامة ملاطفة خبثة) بل كانت نهايةَ الجزءِ الأوّلِ من الكتاب. أمّا الجزءُ الثاني فسوف تؤلّفانِه بإشرافي هنا، وسوف يكونُ برهاناً على شفائكما

من أزمةٍ عصبيّةٍ عابرة، وعلى يقَظةِ ضميرٍ وصحوةٍ عقليّة.

المرأة : إذنْ سنكذِّبُ هذا الكتاب، ونعترفُ بأننا أخطأنا ثم اكتشفنا الحقيقة. ثم نقدّمُ حقائقَ جديدة.

الرجل : ونعلنُ الندمَ والتوبة، ونعتذرُ عن هذا الكتابِ من جميعِ القرّاء، ومن جميعِ اليهودِ في العالَمِ كلِّه، وخصوصاً أحفادَ الضحايا الأبَديّينَ للمحرقة، وأحفادَ أحفادِهم حتى الأبد.

القناع : وبناءً عليه، تُرَدّانِ إلى الوظيفة، ويضجُّ الإعلامُ باسميكما واسمِ الكتاب، وتنالانِ أوسمةً ومكافآتٍ سخيّة، وجوائزَ من هيئاتٍ دَوليّةٍ عليا ومحترَمة، ويُطبَعُ من الكتابِ مليونُ نسخةٍ بل ملايين، وتنالانِ كلَّ أرباحِها.

المرأة : الجنونُ أفضلُ من عقلِك.

الرجل : والنجمُ أقربُ من مَطلبِك.

(إظلام مفاجئ)

-٢-

باحة مشفى الأمراض العصبيّة

(إظلام تام. يبدأ المشهد في الظلام ويستمرّ قليلاً ثم يضاء بالتدريج، والمشهد هو رياضة مشفى الأمراض العصبية: الرجل والمرأة في ملابس المشفى وهي كملابس السجون، يهرولان مع إيقاع الطبل متجاورَين دائرَين في الباحة، وقد شدّ كلّ منهما زنديه وقبضتيه إلى صدره، محاولاً أن يرفع ركبتيه في الهواء قدر الإمكان، وخلفهما القناع في ملابس رياضة، وهو يجلدهما بالتوالي بالسوط الذي كان مع جلجامش، وهما يزعقان عند كلّ جلدة: آه. والقناع يوعزّ بقوّة: أعلى، أعلى، فيحاولان رفع ركبتيهما في الهواء أعلى حتى يتعبا وتتراخى حركاتهما فيصرخ بهما):

القناع : قفا، قفا. (يتوقفان لاهثَين متهالكَين) انتهَت الرياضة.

(الرجل والمرأة يتوجّهان إلى عمق المنظر وهما يردّدان لنفسيهِما لاهثَين)

كلاهما : انتهت الرياضة.

القناع : (يصرخ بهما) قفْ. (يتوقّفان، فيصرخ بهما مشيراً إلى دوش مفترَض) إلى الدوش فوراً.. وبالملابسِ الكاملة.

كلاهما : (متّجهين إلى الدوش المفترَض) إلى الدوش فوراً.. وبالملابسِ الكاملة.

(القناع يبقى واقفاً يراقبهما، وأحياناً يداعب السوط متبسّماً متشفّياً)

الرجل : (ملتذّاً بالماء) أوّووه. ماءُ المشفى عصيرُ تفّاح.

المرأة : (ملتذّة) ماءُ المشفى تغريدُ بلبل.

الرجل : (متألّماً) أوووي.. زخّةٌ مُحرِقة.

المرأة : (مرتعدة من الألم) جلدٌ تسلَّخ.

الرجل : لحمٌ تهرّأ.

المرأة : إحّحح.. زخّةٌ جليديّة.

الرجل : (مرتعداً) الموتُ بالسكتة القلبيّة.

المرأة : (مرتعدة) والإبرةِ الإسعافيّة.

الرجل : والحَبّةِ البنفسجيّة.

المرأة : أوووي.. حريقٌ أقوى من الصاعقة.

الرجل : موتٌ أسرعُ من الصاعقة.

المرأة : موتٌ أسرعُ من الموت.

(القناع ينصرف فيبتعدان عن الدوش المفترَض وهما يرتعدان ويلهثان) (إضاءة ملوّنة متقطّعة ثم بقعيّة على الرجل والمرأة جالسين، وكلّ منهما يضغط صدغيه بيديه، ويتكلّم لنفسه كأنه وحده حتى آخر هذا المشهد)

المرأة : المشفى سَمّمَنا بالمهدِّئات.

الرجل : المشفى ابتلانا بداء الإدمان.

الرجل : (ناهضاً ودائراً في المكان) رأسي لم يعد يتحمّل.

المرأة : (ناهضةً ودائرة في المكان) رأسي سوف يتفجّر.. أنينُ حزانى وقهقهةُ شياطين.

الرجل : (دائراً في المكان) أنينُ حزانى وقهقهةُ شياطين.

المرأة : (متجهة إلى طرف من مقدّمة المسرح) أمٌّ مهجورةٌ وأبٌ غارقٌ في لَذّاتِه.

الرجل : (متجهاً إلى الطرف الثاني من مقدّمة المسرح) أبٌ بستانِيٌّ في حديقةِ قصرِ أبيها.

المرأة : (مشيرة إلى مكان في الخارج نفترض أنه في خيالِها موقع قصر أبيها) تاجرُ البترولِ صاحبُ المليارات، رفضَ استقبالَ ابنته.

الرجل : أبي البستانِيُّ في قصرِ أبيها، استقبلَني خارجَ قصرِ السيّد، (مشيراً إلى الموقع الافتراضي لقصر أبيها) وفي غفلة من الحرّاس والمخبرين.

المرأة : قلت لهم أخبروه أني فُصِلتُ من الوظيفة.

الرجل : عانقني تحت المطرِ وافتخرَ بي؛ أنت يا ولدي فيلسوفٌ وفنّان، وما طردوك إلاّ لأنهم سفلة.

المرأة : الــحَرُّ يُغرقني بعرَقي وينخُرُ في عظامي. وكلابُ أبي تَنبحني عندَ بابِ الحديقة.

الرجل : بكى بدموعٍ حارقةٍ غزيرة. وقال اتهموك بالجنونِ لِيدمّروك، وسوف يلاحقونك حتى يأخذوك إلى مشفى المجانين. فاذهبْ إلى القرية بسرعة. إلى أمّك وأقاربِك.

المرأة : بقيَ في قاعتِهِ المبرَّدة، وأرسلَ خادمَه ليطردَني.

(يدخل القناع في زيّ خادم قصرٍ ويخاطبها من بعيد باستعلاء)

القناع : السيّدُ يقولُ أخبرْها أنها ليست بنتي بل خليلةُ ذاك الحقير.. وأني أطردُها كما طردوها من الوظيفة. ولا أتهمُها بالجنونِ بل أصفُها بالحقارة. وأخبرها أنها ملحدةٌ ومتمرّدةٌ وزعيمةُ أوباش. وهي عارٌ على العائلة والوطن كلِّه. (يخرج)

المرأة : (لنفسها) أمّي في شقّةٍ صغيرةٍ مستأجَرة. منبوذةٌ ووحيدة. وخادمُها سجّان ومخبِر.

الرجل : (لنفسه) أمّي ماتت من حزنِها عليَّ ومن تعبِ السنين.

المرأة : أمّي لم تجرؤ على بقائي عندَها ليلةً واحدة. قالَت لِمَ لم تكلّميني بالهاتفِ قبلَ أن تحضُري؟ سيخبرُهم خادمي.

الرجل : وقفتُ على قبرِ أمّي ألقي عليها النظرةَ الأخيرة، فغافلوني وقيّدوني وأخذوني إلى هنا. (يركع)

المرأة : غافلوني وقيّدوني وأخذوني إلى هنا. (تركع)

(إظلام مفاجئ وموسيقا)

-٣-

مكتب مدير المشفى

(المرأة والرجل بلباس مشفى المجانين، والقناع في زيّ مدير المشفى، في حوار حادّ)

القناع : نحن لا نحتجزُ أحداً إلاّ لسببٍ مرَضيّ.

المرأة : نحنُ هنا لسببٍ سياسيّ.

القناع : معظمُ زبائني يقولون ذلك.

المرأة : نحنُ لسنا زبائن. ومشكلتنا ليست من اختصاصِك.

القناع : اختصاصي هو الأمراضُ العقليّة. وحتى الآنَ لم تثبِتا أنكما عاقلان.

الرجل : هل أنت طبيبٌ نفسيٌّ كما تدّعي، أم محقّقٌ عنيدٌ جاهل؟!

القناع : (ساخراً) أنا لا أدري، فما رأي السيّدة؟

المرأة : السجنُ أهونُ من مشفاكَ وسِحنةُ الشرطيِّ أهونُ من سِحنتِك.

الرجل : ويجبُ أن تحوّلنا إلى الشرطة.

القناع : مهلاً مهلاً مهلاً. إصرارُكما يعني مشكلة، (مشيراً إشارة الجنون) وحين أنقّبُ عن سببِ المشكلة، وأستخرجُه من العقلِ الباطن، تنحلُّ العقدةُ وتنتهي المشكلة. (ثم للمرأة) فحدّثيني بكلِّ صراحة.

المرأة : عمَّ أحدّثك؟

القناع : عن بنتك السوداء؛ مَن والدُها؟

المرأة : ليس لي بنتٌ ولستُ متزوّجة.

القناع : مكتوبٌ في مِلفِّك أنه ليس لك بنتٌ ولستِ متزوّجة، وأنك تعيشينَ مع زميلِكِ دونَ زَواج.. لكنني أتحرّى الحقيقة.

المرأة : أيّة حقيقة؟

القناع : بنتُكِ السوداءُ مَن والدُها؟

المرأة : ليس لي بنتٌ سوداءُ ولا بيضاء.

القناع : (يخرج من جيب مئزره حافظة يخرج منها إبرة ويحقن المرأة في العضد) بنتك السوداءُ مَن والدُها؟

المرأة : ليس لي بنت ولست متزوّجة.

القناع : أعرفُ هذا وأسألُ حتى أعرف: بنتك السوداءُ مَن والدُها؟

المرأة : (كأنما لنفسها) مَن والدُها؟ (القناع يومئ إيجاباً) والدُها حبيبي وزوجي الذي أمامَك. (مشيرة إلى الرجل) وهي بيضاء شقراء. (تقهقه) وليست موجودةً على الإطلاق.

القناع : (زاجراً) ليست موجودة على الإطلاق؟

المرأة : (مصحّحة) هي موجودةٌ على الإطلاق. عمرُها تسعُ سنوات. ومديرُ المدرسةِ يعشقُها ويريدُها خليلةً وعمرُه ثمانون. (تقهقه) ثمانون سنةً وعشرُ ساعات ودقيقتان.

القناع : (يعيد الإبرة إلى الحافظة) كلامٌ جميل. (ثم للرجل) وأنت يا فيلسوفَنا المحترم؛ ماذا فعلت بولدِك؟

الرجل : أعطني الإبرةَ أوّل.

القناع : أنت مريضٌ جيّدٌ ومتعاون. (يحقنه في العضد) وقد وفّرتَ عليَّ التعب. (يعيد الإبرة إلى الحافظة) فماذا فعلتَ بولدك؟

الرجل : أأنت مجنونٌ لتسألَني؟! أخبِرْني فأخبرك.

القناع : حسناً، حسناً. لماذا قتلتَ ولدَك؟

الرجل : أتمنى أن أقتلَ كثيراً من الناس. لكنّي لم أقتلْ ولا أستطيع.

القناع : (يفاجئ الرجلَ بإبرة ثانية) لكنْ قتلتَ ولدَك.

الرجل : افرضْ أنّ لِيْ ولداً فلماذا أقتلُه؟

القناع : أنت أستاذٌ في الفلسفة، ولا تعرفُ لماذا يقتلُ الرجلُ ولدَه؟!

الرجل : لا والشياطينِ لا أعرف. أخبِرني أنت.

القناع : لأنك تغارُ على زوجتك.

الرجل : لكنها أمُّه حسْبَ كلامك.

القناع : هي أمّه حقّاً وزوجتك حقّاً، وأنت تغارُ عليها منهُ ليس حسْبَ كلامي، بل حسبَ المناهجِ النفسيّةِ العلميّة، التي تدرَّسُ في جامعاتِ العالَم المتحضّر، وجامعاتنا المِصريّة العريقة. فلماذا قتلتَ ولدَك؟

الرجل : قتلته لأنه قتلَني. قتلني أنا والدَه. ما كادَ يبلغُ سنَّ الشبابِ حتى صفقَ البابَ وراءَه دونَ رجعة. أدارَ لي ظهرَه كأني عدوُّه. تطوّعَ في جيشِنا ثم التحقَ بالجيشِ الأميركيّ. تطوّعَ في القوّاتِ البحريةِ والجويةِ والبريّةِ في وقتٍ واحد، وقُتلَ في حربِ البترولِ الأولى

وحصارِ العراقِ وحربِ البترولِ الثانية، ولم يُعثَرْ على جثّته.. كانت جيوشُهم تجوبُ الشوارع، وتحتفلُ بتحريرِ العراق. (ثم بحماسة) عروضٌ عسكريّةٌ وطبولٌ وأبواقٌ وراياتٌ ترفرف. وعلى الأرصفة جُموعٌ تستقبلُ الفاتحينَ بالأزهار. (يقترب من القناع ويضمّه) واقتربَت امرأةٌ مفجوعةٌ تضمُّ ولدي وتقبّله. (ثم وهو يقذف القناعَ بعيداً عنه بقوّة): وانفجرَ حزامُها الناسفُ لحظةَ القبلةِ الثانية. (ثم وهو يدور في المكان مرفرفاً كالطير) وتطايرَ الجسدانِ أشلاء. (مقهقهاً) تطايرَ الجسدانِ أشلاء.

(إظلام مفاجئ وموسيقا)

المنظر الثالث

قبو الغسيل في الفندق

-١-

(إضاءة تدريجية) (المكان خالٍ. في جدار مقدمة المسرح هاتف مثبّت بارتفاع المستخدِم الواقف)

(في زاوية يمين العمق مكنسة فرشاويّة ذات عصا. في الزاوية اليسرى ممسحة مؤلفة من حزمة من الخيوط الغليظة حول نهاية عصا. يرنّ الهاتف رنّات متواصلة فيسرع إليه الرجل)

الرجل : ألو.. نعم.. نعم.. حاضر.. حاضر. (يضع السمّاعة) السيّدُ قادم.

المرأة : مديرُ الفندق؟

الرجل : بوّاب الفندق. مندوبُ المديرِ كالعادة.

(يسرعان فيتنكّب الرجل المكنسة وتتنكّب المرأة الممسحة ويقفان باستعداد عسكريّ قرب أحد المداخل. يدخل القناع من ذلك المدخل مغطّى الجسم بكومَة من أغطية الفُرش، يلقيها على الأرض فتظهر في إحدى يديه سمّونتان وفي الثانية فاتورة هاتف، فيقابلانه بصوت واحد)

الرجل : جاهزانِ للتفتيش، سيّدي البوّاب.

القناع : لا وقت للمسخرة. (يرمي الأغطية) هذا للغسيلِ والكيّ. (يعطي سمّونة للرجل) وهذا خبزُ يومِك. (الرجل يرمي المكنسة على الأغطية ويضع السمّونة في جيبه. والقناع يعطي سمّونة للمرأة) وهذا خبزُ يومِك. (المرأة تفعل كالرجل، والقناع يتابع مخاطباً إيّاهما) أمّا الفولُ والفلافل، فمحسومانِ حتى إشعارٍ آخر، بأمرِ السيّد المدير.

الرجل : قلْ للسيّدِ المديرِ يا سيّدي: ليس بالخبزِ وحدَه يحيا الإنسان.

القناع : (مشيراً بالفاتورة) وليس بالهاتفِ أيضاً. (الرجل يأخذ الفاتورة وينظر فيها) مكالماتُك الدَوليّةُ إلى.. لَجنةِ حقوقِ الإنسان.

المرأة : هذا شرطُنا على السيّدِ المدير؛ أن نتّصلَ باللجنةِ متى نشاء، ونستقبلَها في هذا الفندق.

القناع : الشرطُ أن تتصّلا بمكتبِ اللجنةِ في مصرَ هنا، وليس أمريكا.

الرجل : أو، هوه.. سنردُّ قيمةَ الفواتيرِ عمّا قريب. حين تأتي اللجنةُ وتردُّ اعتبارَنا.

القناع : (متهكّماً) وتردُّكما إلى تدريسِ الفلسفةِ في الثانويات، أيّها الأستاذانِ الهاربانِ من مشفى المجانين.

الرجل : هكذا؟ (يمسك بخناق القناع) لسنا من المجانين، يا حضرةَ البوّاب.

المرأة : (تأخذ الممسحة وتضرب القناع مراراً مردّدة) لسنا من المجانين..

القناع : سوف أستدعي الشرطة.. فتعودانِ إلى مشفى المجانين.

المرأة : (وهي تضربه مع كل كلمة) ويعاقبون مديرَك أيضاً، لأنه تستّرَ علينا.

القناع : (يكاد يبكي) أرجوكما أرجوكما. لن أفعلَ أيَّ شيء.

الرجل : (يدفع القناع جانباً فيقع فوق كومة الأغطية) انقلعْ..

(إظلام تدريجي)

-٢-

(إضاءة تدريجيّة. اختفت السمّونتان. المرأة جالسة وقد أسندت رأسها إلى يديها المقبوضتين)

(الرجل يأتي من الداخل وهو يجرجر خمسة كراسي بلاستيكية متراكبة، ويجري صفّ الكراسي كلّه بين جدّ وهزل أو بين عقل وجنون)

الرجل : (بحماسة) اللجنة. اقترب موعد اللجنة.

المرأة : (ناهضة) اللجنةُ الرباعيّةُ الدوليّةُ الأمميّةُ المتحدة..

الرجل : (مفتخراً) لحقوق الإنسان.

المرأة : (متهكّمة) والحيوان.

(تساعده على فكّ تراكب الكراسي وهو يصفّها على خطّ يتخيّله وسط المكان فيما يلي):

الرجل : هذا لرئيسِ اللجنة. (يضع الكرسي في طرف الصفّ) مندوب الأمينِ العامِّ للأممِ المتحدة.

المرأة : أخطأتَ يا عزيزي. (تضع الكرسي في وسط المكان) هنا رئيسُ اللجنة.

الرجل : مكانُه في الطرفِ يعني في الطرَف. (المرأة تعيد الكرسي إلى حيث كان، والرجل يحمل كرسيّاً) وهذا لأقوى أعضاء اللجنة؛ مندوبِ الولايات المتحدة. يضع الكرسي بجانب سابقه) لأنه رئيسُ اللجنةِ الحقيقيّ.

المرأة : (تحمل الكرسي وتضعه في وسط المكان على مسافة كرسيّ من سابقه) هذا يعني: هنا مكانه.

الرجل : (يشير إليها بإعادة الكرسي إلى حيث كان فتفعل، ثم يضع كرسيّاً في الطرف الثاني للصفّ على مسافة كرسيّين من سابقه) وهذا لمندوبِ الولاياتِ الأوروبيّة المتحدة.

المرأة : (تضع كرسيّاً في الفراغ السابق جنب كرسي أوروبا فيبقى في الوسط فراغ بقدر كرسي) وهذا لمندوب الولايات الروسيّة المتحدة. فأرجِعْ الكرسيَّ الخامس، وصحِّحْ المسافاتِ بينَ الكراسي.

الرجل : لا تغلطي يا أستاذة. (حاملاً الكرسي الخامس) هذا لأهمِّ شخصيّةٍ في اللجنة.

المرأة : (تشير بأصابع يدها) اللجنةُ رباعيّةٌ يا أستاذ. رباعيّة.

الرجل : وكلّ لجنةٍ لها سكرتيرة. والسكرتيرة، (يضع الكرسي في وسط الصفّ) يجبُ أن تكونَ حُلوة.

المرأة : (تقهقه) حلوةٌ وحيويّة؟ (تقهقه) حلوةٌ وحيويّة؟

الرجل : ما لكِ، هل تغارين؟

المرأة : وهل ستأتي اللجنة؟!

الرجل : لا تتشاءمي، كوني واقعيّة.

المرأة : إلى الجحيم بكلِّ هذا. أنا يائسة، يائسة.

الرجل : (مبتسماً) أنا متفائل رغمَ أنفي ويجبُ أن نحاول، (يجلس على الكرسي الأوسط) لأجلِ حياتِنا.

المرأة : الموتُ أفضلُ من أملٍ كاذب. ومن فِقدان الأمل.

(موسيقا مع إظلام تدريجي)

-٣-

(إضاءة تدريجية مسائية)

(كلّ من الرجل والمرأة واقف في أحد أطراف المكان ينظر إلى الخارج كأنما من كوّة قبو)

المرأة : اقترب المساء.

الرجل : الضوء شاحب والسماء رماديّة. يعني اقترب المساء.

المرأة : هل كذبوا علينا أم أهملونا؟

الرجل : لا تتشاءمي، سأتأكّد. (يركّب رقماً بالهاتف ويصغي لحظة ثم يضع السمّاعة) الخطّ مشغول.

المرأة : جرّبْ خطّاً آخَر.

الرجل : سأجرّبُ كلّ الخطوط. (يحاول عدّة مرّات وفي كلّ مرّة يقول) مشغول.. مشغول.. مشغول.. (ثم بحماسة) لكنّي سألتفُّ على أرقامِهم كلِّها. أعرفُ الرقم الشخصيّ للسكرتيرة. (يركّب رقماً ويصغي لحظة)

ألو، مرحبا. (يصغي) أنا أستاذ الفلسفةِ المصري. (يصغي) منعوني مع زميلتي من التدريسِ واتهمونا بالجنون. (يصغي) موعدُنا مع اللجنةِ اليومَ في منتصف النهار، وقد اقتربَ المساء. (يصغي) أنتِ بلّغتِني البارحة. (يصغي لحظة ثم يضع السمّاعة ببطء) اللجنةُ مشغولةٌ جدّاً جدّاً..

المرأة : مشغولةٌ بِماذا ؟

الرجل : بحرب البترولِ الثالثة.

المرأة : الحربُ قائمةٌ منذ سنوات، وقد لا تنتهي بعد سنوات.

الرجل : قالَت إن الحربَ في مرحلةٍ حاسمةٍ والعالَمُ في لحظةٍ فاصلة.

المرأة : النغمةُ ذاتها منذ سنوات: الحربُ في مرحلةٍ حاسمةٍ والعالَمُ في لحظةٍ فاصلة.

الرجل : مهما يكنْ، مهما يكن، يجبُ أن ننتظر.

المرأة : (تسير ببطء إلى طرف المقدمة البعيد عن الهاتف) ونقضي عمرَنا ننتظر.

الرجل : لا تتشاءمي هكذا. ما دامت الحرب طالَت فهذا يعني أنها أشرفَت على النهاية. (يرنّ الهاتف

فيسرع إليه وتتبعه المرأة) ألو.. (يصغي باهتمام) نعم، أنا المشتكي. (يصغي) زميلتي قربي أيضاً. (يصغي) بشرى وتهنئةٌ على أيِّ شيء؟ (يصغي وتلصق المرأة أذنها بالسمّاعة) الحربُ انتهت وانتصرنا؟ (يصغي) آ، هَه.. (يصغي) آ، هَه.. (يصغي) آ، هَه.. (يصغي) مع السلامة. (يضع السمّاعة ويكلّم المرأة متهكّماً) ربحوا حربَهم وهنّأونا. وطمأنونا بأنّ العالَمَ كلَّه صارَ في أيدٍ أمينة. يعني: في قبضة الشركة.

المرأة : (مشيرة إلى نفسها بافتخار تهكّمي) شركةِ الوالدِ المحترم. (ثم وهي تدور حول الرجل) الشركةَ العالَميّةِ المتحدة، لسلخِ جلودِ البشر.. والشركةُ يقودُها أوغادُ شعبِ الله..

الرجل : (منتبهاً فجأة) ولكنْ اللجنة..

المرأة : لا جدوى من أيِّ لَجنة.

الرجل : حدّثتني عن الحربِ فنسيتُ مسألتَنا. (يركّب بالهاتف رقماً ويصغي، بينما تقترب المرأة منه فيخبرها في شبه همس) المجيبُ الآلِي. (يصغي

قليلاً ثم يعلّق السمّاعة خبطاً ويصرخ) قذرون. قذرون. قذرون.

المرأة : ماذا قالَ المجيبُ الآلِي؟

الرجل : قالَ بالحرف الواحد: شكواكم كاذبة. ولا تتصلوا مرّةً ثانية.

المرأة : (تقهقه بجنون) شكوانا كاذبة.. (تقهقه) شكوانا كاذبة.. وشعبُ اللهِ وأذنابُهم صادقون..

الرجل : (كأنما لنفسه) مشفى المجانينِ انفجرَ وغطّى العالَم. والجنون شَمَل الدنيا ومَن عليها، فماذا نفعل؟

المرأة : (بلا جنون) الموتُ أفضلُ من أملٍ كاذب. ومن فِقدان الأمل.

الرجل : سألتكِ: ماذا نفعلُ كي نعيش؟

المرأة : نحنُ معدومانِ هنا أو هناك (مشيرة إلى الخارج)

الرجل : أنا سألتُ: ماذا نفعل؟

المرأة : (بابتسامة جنونيّة) ماذا نفعل؟! (بحماسة) نخرجُ إلى الدنيا ونشمُّ هواءَ البترولِ الشامل، ونقهقه في وجوه الناس حتى ننفجر.. فنطيّرُ اللجنة.. ونطيرُ معها.

الرجل : (بحماسة) نقهقه في وجوه الناس حتى ننفجر.. فنطيّرُ اللجنة.. ونطيرُ معها.

(يهرولان خارجين)

((تمّــت))

حمص - صيف ٢٠٠٩

الاغتيــال

مسـرحية

عن رواية ليونيد أندرييف: قصة سبعة مشنوقين

وشـذرات من الأدب الكلاسـيكي الروسـي

البيئـــة : روسيا. بطرسبورغ. أوائل ربيع ١٩٠٨.

المناظــر : كلّها شَرطيّة لتحقيق الرشاقة في تتابع المشاهد، وهي:

١. غابة.

٢. صالة بيت.

٣. قاعة في سجن قلعة.

٤. زَنزانات في سجن القلعة.

الأزياء : السجناء يبقون طوال المسرحيّة بثيابهم الخاصّة، ولا يلبسون ثياب سجن موحَّدة.

الشخصيات:

آ : الــراويـــة

ب: السياسيون:

فيــرنَــر	زعيمهم	٣٥ سنة
سيــرجي	(سِرْغِيْي) ملازم مسرَّح	٢٧ سنة

فاســيلي	طالب جامعي حقوقي	٢٥ سنة
تاتيانا	مربية أطفال	٢٣ سنة
ماريا	ممرّضة	٢٣ سنة

ج: القاتلان:

يانْسُــن	أجير زراعي	٣٠ سنة
الغجري	قاطع طريق	٣٥ سنة

د: رجال الدولة:

القــاضي

الــرقيب

العــريف

الــحارس

عسكري١

عسكري٢

هــ: أهالي المحكومين:

نيكولاي	أبو سيرجي. عقيد متقاعد
داريــا	أم سيرجي
مارفــا	أم فاسيلي

المشهد الأول

الإعدام

(فسحة في غابة)

(في عمق المنظر ثلاث أرومات، أي قواعد أشجار مقطوعة، تضاء عند استخدامها)

(المسرح مظلم)

(دقّات طبل بطيئة)

(يدخل الحارس مسلّحاً ببارودة يحمل فانوساً مشتعلاً، وخلفه السياسيون: تاتيانا وماريا أوّلاً، ثم سيرجي وفيرنر وبينهما فاسيلي. يليهم القاتلان: الغجري ويانسن. خلفهما العريف والرقيب، وكلّ منهما مسلّح بمسدّس. العسكريّان ١ و٢ يسيران على يمين ويسار

منتصف الرتل وكلّ منهما مسلّح ببارودة ويحمل فانوساً مشتعلاً. الجميع يمشون بصعوبة)

(يخفت صوت الطبل مع دخول الراوية)

الراوية : ثم ساروا بِهم آخِرَ الليلِ في الغابة الموحِشة. ساقوهم بعيداً عن أعيُنِ الناس، كي يُشنَقوا ويُدفَنوا ولا يدري بِهم أحد. السماءُ رماديّةٌ ثقيلةٌ قاتمة، والأرضُ غبِشةٌ مُبهَمة، والأقدامُ تغوصُ عميقاً في الطينِ اللزِجِ والثلجِ الذائب، وتجاهِدُ كي تتقدّم.. أمّا وجوهُ المحكومينَ الفتيّةُ العارية، فتشُقُّ هواءً جليديّاً قاسيّاً عسيراً على التنفّس، جارحاً نفّاذاً كرؤوسِ الحِراب.. (تخرج)

(إضاءة تدريجية شاحبة: ليلاً قُبيل الفجر)

(العريف والرقيب يتحاوران بهمس مسموع)

العريف : (للرقيب) لو أنّ الدربَ معبَّدٌ على الأقلّ.

الرقيب : رؤساؤنا لا يهتمّونَ بعذابنا، ويركبونَ عرباتٍ مُريحةً مغلَقة.

العريف : (مشيراً إلى السياسيين) وهؤلاءِ الخمسة، (بتهويل) تآمروا لاغتيالِ وزيرِ الداخليّةِ نفسِه.. فلماذا يعذّبُنا القاضي بجرجرتهم إلى هنا؟!

الرقيب : (مشيراً إلى الجهة التي دخلوا منها) وجَبَ أن يُشنقوا هناكَ في ساحةِ القلعة؛ أقرَبُ وأسرَع.

العريف : (مشيراً إلى الغجري ويانسن) والقاتلَينِ أيضاً.. وانتهَينا.

يانسُن : (يلتفت متوقّفاً ويصرخ في وجه الرقيب والعريف) ما أَريد.

(يتوقّف الحارس في أول الرتل ناظراً إلى الخلف، فيتوقف الجميع وينظرون)

الرقيب : (مقترباً من يانسن و مهدّداً بقبضته) أنتَ تخرسُ يا أبلهُ يا بليد، يا قاتلَ سيّدِه.

(يانسن ينكفئ عن الرقيب مخذولاً، وفي الوقت نفسه يتكلّم الغجري)

الغجري : (للرقيب) إلى متى نَمشي يا رقيب؟!

الرقيب : (ساخراً) نعم؟

الغجري : تعِبْنا.

الرقيب : (مقترباً من الغجري) قليلاً وتستريحُ إلى الأبد.. يا قاطعَ الطريقِ يا بلطجي.

(الغجري يبصق على الأرض أمام الرقيب، فيردّ الرقيب بالمِثل ويتجه إلى الحارس)

الرقيب : (للحارس) هيّا تحرّك؛ القاضي والضبّاط ينتظرون.

الحارس : (متوقّفاً وملتفتاً إلى الرقيب) ينتظرونَ في عرباتٍ مغلَقة، ولا يمشونَ مثلَنا في البردِ والطين.

الرقيب : إيّاكَ أن تنتقد رؤساءَك.. أقطعُ لسانَك.

(الحارس لا يردّ، ويسير دون إسراع، فيسير الجميع)

(موسيقا. وتغيير في الإضاءة يعني مرور زمن)

الرقيب : (للحارس) يا عسكري، توقّف عندَك.

(الحارس يتوقّف فيتوقف الجميع ويضعون الفوانيس أرضاً)

الرقيب : (للعسكريَّين ١و٢) أنتما تذهبانِ معي. (ثم للعريف) وأنت يا عريفُ انتبِه.. سبعةٌ باستلامك.

الغجري : (للرقيب) هكذا لا ينفع. قلْ لهُ استلِم قاتلَين، (مشيراً إلى مَن يعنيهم) وخمسة أبطال، كي لا يخلطَ بيننا عندَما.. (يضحك ضحكة ذئبيّة)

الرقيب : (ساخراً) نعمْ، عندما.. (ثم يحمل فانوساً ويمضي مع العسكريَّين ويختفي في عمق يمين المنظر)

(المحكومون يتوزّعون في أرجاء المكان: يقترب من يمين المقدّمة سيرجي وبجانبه تاتيانا، ومن

يسار المقدّمة ماريا وخلفها فيرنر، ويجلس يانسن على أرومة ولا ينهض إلاّ حين يُحمل لإعدامه. على أرومة مجاورة يجلس فاسيلي ضامّاً عضديه بكفّيه من البرد.. ومنذ الآن نعني بالمحكومين جميعهم ما عدا يانسن وفاسيلي) (الغجري يسير إلى فيرنر ويهامسه)

الغجري : سيّد.. يا سيّد.. ماذا لو خلّصْنا على الحارسَين؟ (فيرنر ينظر إليه صامتاً) نحاول.

فيرنر : لا فائدة.. تحمّلْ حتى النهاية.

الغجري : لماذا أتحمّل؟ ها؟ العراكُ ألطف. أضربِه ويضربني ولا أعرفُ النتيجة.

فيرنر : كلا، لا فائدة.

(يكون فاسيلي قد نهض وسار إلى الأمام ضامّاً عضديه بكفّيه مرتعداً)

فاسيلي : بررررد. بررررد.

(يسرع المحكومون إلى فاسيلي وينشغلون به بينما يعبُر الرقيب خلف المنظر حاملاً فانوسه، ومعه العسكريّان يحملان لوازم مشنقة: كرسيّ المشنوق

ومنصّته وحبلاً ذا أنشوطة. الثلاثة يسيرون بسرعة وانهماك، ويختفون دون أن يلاحظهم أحد)

تاتيانا : (تخلع منديل رأسها) فاسيلي، خذ منديلي. (يأخذه بشكل آلي ويبقى جامداً) طوّق الرقبة.

فاسيلي : (برعب غريزي) الرقبة؟

تاتيانا : (تشدّ المنديل حول رقبته) يجبُ شدُّه هكذا. ستشعرُ بالدفء فوراً (تضمّ كفّيه بكفّيها وتفركهما) سأدفّئُ كفّيك أيضاً.

فاسيلي : لا داعي.

تاتيانا : (تضمّ كفّيه إلى صدرها) فاسيلي.

فاسيلي : (ينتر يديه) لا داعي. (يعود إلى أرومته ويجلس)

فيرنر : (يقترب منه ويضع يده على كتفه) لا يُهِمُّ يا فاسيلي، لا يهمّ. قريباً ينتهي هذا كلُّه.

سيرجي : (يبعد فيرنر جانباً بلطف ويحلّ محلّه) فاسيلي، اصمُد مثلَنا. يجب أن نصمُد.

فاسيلي : يا مسرّة المفجوعين..

(خلال ما سبق تدخل الراوية)

الراوية : حاولَ فاسيلي أن يصلّي، فلم يجِدْ في ذاكرتِه ما يعبّرُ عن تديُّنٍ حقيقيّ، إلاّ مِزَقاً مِن ظِلِّ عباءةِ الدينِ في بيتِ أبيه، التاجرِ الذي يعبُدُ المال.. ولم تكنْ تلك المزقُ إلاّ ذكرياتٍ مِن طفولتِهِ الباكرة؛ ثلاثَ كلماتٍ تنطلقُ من أعماقِهِ دونَ إرادة: يا مسرّة المفجوعين.. (تخرج)

فاسيلي : (ناهضاً) يا مسرّةَ المفجوعين.. أقبِلي عليّ وساعديني؛ أسنِدي فاسيلي كاشيرين.

الغجري : (يهزّ كتفي فاسيلي) سيّد، يا سيّد. أنت بطلٌ فلماذا تخاف؟!

فاسيلي : اتركْني.

الغجري : الكلبُ وحدَه يُسبِل الذيلَ حين يخاف.. لكنْ أنت إنسان، ها؟.. ارفعْ رأسَك.

فاسيلي : لا بأس، لا بأس. (ثم يجلس، ولا ينهض إلاّ حين إعدامه)

(خلف المنظر يعبر الرقيب بفانوسه ومعه العسكريّان يحملان لوازم مشنقة ثانية، ويراهم الغجري)

الغجري : (لنفسه بصوت مرتفع) يا ربّي.. مشنقة.

(يلتفت المحكومون فيرون آخِر عبور لوازم المشنقة، فيسقط يانسن مغمى عليه وتهرع تاتيانا إليه)

تاتيانا : يانسُن..

(المحكومون يقتربون من يانسن)

العريف : (جالساً في مكانه) اهدَؤوا واتركوه.

ماريا : كيف نتركه؟

تاتيانا : أليسَ إنساناً مثلَك؟!

العريف : بل خادمٌ تافه.

سيرجي : كيف يُمكنُ هذا؟! انهضْ وقم بواجبك.

العريف : (من مكانه) الإغماءُ معتادٌ في هذه الأحوال. اضرِبوه كَفّين.

الغجري : أنا أُصحّيهِ ولا أزعجُه. (يركع بجانب يانسن ويدلّك صدغيه، ويربّت بلطف على خديه)

ها، بدأ يصحو. ابتعدوا ليتنفّس.

(المحكومون يتباعدون وأنظارهم متعلّقة بيانسن، فيجلس يحدّق إليهم)

يانسن : سيجارة.. ما في سيجارة؟ (لغته ركيكة مكسَّرة، وهو يسكّن أواخر الكلمات ويؤنّث المذكّر)

الغجري : من أين لنا؟!

سيرجي : معي سيجارةٌ واحدة. (يخرج من جيبه سيجارة، يسوّيها ويشعلها ويقدّمها ليانسن)

(يانسن يمجّ من السيجارة أنفاساً متلاحقة)

فيرنر : (ليانسن) مريحة. أليس كذلك؟

يانسن : مرتاح.. شكراً.

(يرتفع صوت الرقيب وهو يدخل حاملاً فانوساً، ويليه القاضي ثم العسكريّان فينهض العريف)

الرقيب : ها هم سيّدي؛ جاهزون.

(القاضي يخرج من جيبه ورقة)

القاضي : (للمحكومين) أنتم تعرفونَ القرارَ فهل أقرأُه؟

فيرنر : متّعتَنا به في محكمتك.

القاضي : (يعيد الورقة إلى جيبه ويخاطب الرقيب) ولكنْ أين الكاهن؟!

الرقيب : نسيته من عجَلتي وسأحضره. (ويتحرّك ليخرج فتصرخ ماريا)

ماريا : (حازمة) أنا أرفضُه.

(الرقيب يتوقف وينظر إلى القاضي، والمحكومون يتبادلون نظرات سريعة)

فيرنر : كلّنا نرفضُه.

القاضي : إذن تأتونَ اثنينِ اثنين، فتَوزَّعوا كما تشاؤون. (ثم للرقيب) ولا تتأخّروا. (يأخذ الفانوس ويخرج)

(المحكومون يتفاهمون فيما بينَهم)

سيرجي : أنا وفاسيلي أوّلاً؛ لم يعد يَحتمل.

فيرنر : ثمّ أنا ويانسُن. هو أيضاً لا يَحتمل.

تاتيانا : بعدَكم أنا وماريا.

الغجري : أنا وحدي في النهاية. أنا أحتمل.

(سيرجي يقترب من فاسيلي)

فاسيلي : (يصرخ) ابعد عنّي.

سيرجي : (يمدّ يده إليه) فاسيلي، أمسِك يدي.

فاسيلي : (يصرخ) لا تلمِسني.

(رفاق فاسيلي يسرعون إليه)

فيرنر : فاسيلي أمسِكني أنا.

فاسيلي : (يدفع فيرنر عنه ويصرخ بحقد) أنت غرّرت بنا وقتلتنا أيّها الألمانيّ.

ماريا : (بلهجة إقناع) عزيزي، كلّنا اتخذْنا القرار.

فيرنر : (لِماريا) هذا الكلامُ لا ينفعُ الآن.

فاسيلي : اخرسْ أنت.

تاتيانا : يا عزيزي الحبيب..

فاسيلي : (يغطّي وجهه بيديه) ألفُ لعنة. ألفُ لعنة. ألفُ لعنة.

سيرجي : (يمسح على شعر فاسيلي) فاسيلي، انظرْ إليّ. أنا أحبّك.

فاسيلي : (يدفعه عنه) دعني وحدي.

الرقيب : (مقترباً من فاسيلي) إلى متى أنتظرُك؟! إلى متى أنتظرُك؟!

فاسيلي : (مستنجداً) سيرجي.

سيرجي : (دافعاً الرقيب جانباً) ابتعد عنّا. (ثم لفاسيلي وهو يطوّقه بمحبّة وتشجيع) طوّقْني بقوّة..

(فاسيلي يطوّق سيرجي ويمضيان.. يواكبهما العسكريّان ويتبعهم الرقيب بفانوس)

(صمت ونظرات متبادَلة)

الغجري : (لفيرنر والفتاتين) يا إخوتي، كيف أذهبُ وحدي؟ مع الجماعة ألطف.. سيّد، رافِقْني أنت.

فيرنر : لا أقدر. (ثم مشيراً إلى يانسن) أنا سأرافقُه.

الغجري : لا ترفضْ.. تكرّمْ عليّ.

فيرنر : انظرْ إلى حالته.. يحتاجُني أكثرَ منك.

الغجري : آه يا ربّي، أبقى بمفردي، كيف هذا؟! كيف هذا؟!

ماريا : (تتقدم منه) سأكون معك.

الغجري : (يتراجع ويحملق فيها) أنتِ يا آنسة؟! (تومئ برأسها موافقة) أنت الفتاةُ ولا تخافين؟!

ماريا : ولا أخاف.

الغجري : (يبتعد جانباً) كلاّ.. وحدي أحسن. الأمرُ بسيط.

ماريا : (تلاحقه) لا تخجل، لا تخجل.

الغجري : (يواجهها) لا تكوني خفيفة. أنا لا أستأهلُ تضحية.

ماريا : أنت الآنَ كأيِّ إنسان.

الغجري : ألا تتراجعين؟

ماريا : كلاّ.

الغجري : كما تريدين.. وإن تراجعتِ لن أزعل.

ماريا : لن أتراجع.

الغجري : (راكعاً ومتهلّلاً) يا ربّي، يا إلهي، يا إلهي..

(يأتي العسكريّان والرقيب حاملاً فانوساً)

الرقيب : هيّا.. اثنان أيضاً.

الغجري : (ينهض ويقترب من يانسن) وداعاً يا أخي، سنلتقي في العالم الآخَر.. إن رأيتَني فلا تُدِرْ وجهَك عنّي، واجلِبْ لِيَ الماءَ واسقني؛ سأشعرُ بالحرّ هناك.

فيرنر : (يقترب من يانسن فيطرق هذا برأسه) يانسن، انظر إليّ.

يانسن : ما أريد.

فيرنر : (يمسك كفّي يانسن بلطف) هيّا معي؛ تشجّعْني وأشجّعُك.

يانسن : (ساحباً يديه) ما أريد.

فيرنر :كفاك عذاباً كفاك.

يانسن : (باكياً) ما أريد.

فيرنر : (للعسكري ١) احمل معي.

(العريف يبادر ويحمل يانسن من إبطيه مع فيرنر، بينما يومئ الرقيب للعسكريَّين فيحمل أحدهما فانوساً ويواكبان فيرنر ويانسن)

يانسن : (ينوح بصوت خافت) ما أريد. ما أريد.

(فترة صمت ونظرات متبادَلة)

تاتيانا : عزيزتي ماريا، عشنا معاً سنواتٍ كأختين حميمتين. والآن يا ماريا.. الآن وحدي؟

ماريا : عزيزتي، نحن وهبْنا حياتنا للآخَرين. (ثم تشير إلى الغجري) وهو الآنَ يحتاجني أكثرَ من حاجتِك.

تاتيانا : أفهمُ يا عزيزتي، أفهم. لكنْ كيف وحدي؟!

الغجري : (لتاتيانا) آهِ يا مولاتي أنت روحٌ نقيّة، (ثم مشيراً إلى السماء) وتدخلين إلى هناكَ بمفردك. أمّا أنا فلن يقبلوني ولن أقدِر. سيقولونَ: أين تدسُّ أنفَك يا بلطجي. يا زاهقَ أرواحِ البشر. لكنْ، إن كانت معي فكأنّي طفلٌ بريء.. هل تفهمين؟

تاتيانا : (تبتسم رغماً عنها) أفهمُ وأتحمّل.. أنت معها.

الغجري : انظروا كيف تبتسم! الوجه كلّه يبتسم! كيف هذا منك يا آنسة؟!

(تاتيانا تندفع نحو الغجري وتضمه بقوة فيقبلها من وجهها وشعرها. الحارس ينظر إليهما فيترك بندقيته تسقط، ويمضي مترنحاً ويسقط منكبّاً على وجهه في أقصى طرف المنظر، فيسرع الرقيب إليه ويقلبه على ظهره باتجاه داخل المنظر)

الرقيب : أغمي عليك يا جبان؟ (يرفس الحارس) إلى جهنّم. (يعود إلى مكانه)

الغجري : أنت يا رقيب، (يشير إلى بارودة الحارس) خذ البارودة. (الرقيب يحدج الغجري غاضباً)

الغجري : (ساخراً) أو آخذُها أنا.

(الرقيب يحمل بندقية الحارس ويعلّقها بكتفه، ويعود العريف حاملاً الفانوس ويتبعه العسكريّان)

العريف : (داخلاً) سيّدي؛ اثنين أيضاً.

تاتيانا : (تندفع لمعانقة ماريا) ماريا..

(وبينما تتعانق الفتاتان بصمت ينتبه العريف إلى الحارس المغمى عليه)

العريف : سيّدي، ماذا حدث؟

الرقيب : (رافساً الحارس) عسكريٌّ جبان. أرادَ أن يهرب.. وأُغمِيَ عليه.

العريف : إلى جهنّم.

الرقيب : (يأخذ الفانوس من العريف ويعطيه بارودة الحارس) راقبْه جيّداً فقد يصحو ويهرب.

العريف : حاضر.

الرقيب : (يتجه نحو المحكومين، ثم يتوقف ملتفتاً إلى العريف) ولا تعطِه البارودة.

(العريف يومئ إيجاباً)

(الغجري وماريا يسيران ليخرجا فيواكبهما العسكريّان، ويتبعهم الرقيب وتدخل الراوية)

الراوية : كان هذا في روسيا القيصريّة، عامَ ألفٍ وتسعِمئةٍ وثمانيةٍ، مِن بعدِ ثورةٍ عمّاليّةٍ دامت ثلاثَ سنوات، وسحقَها الجيشُ والشُرطةُ بالسيوفِ والبنادق.. والمدفعيّة.

(إظلام تدريجي وموسيقا، ويتغيّر المنظر)

المشهد الثاني

صالة شقة تاتيانا

المداهَمة

(أيقونة في زاوية. في الصدر مكتبة صغيرة تحوي بعض الكتب، وفيها بابان صغيران مغلقان)

(موسيقا ربيعيّة سعيدة ومتفائلة)

(ماريا راكعة تصلّي أمام الأيقونة)

الراوية : كانت تصلّي قبلَ كلِّ اغتيال، ليس خوفاً من الموت، بل استعجالاً لهُ إيماناً منها بأنه ليس فناءً بل خلود. فلو اجتمعَ في غرفتِها العلماءُ والفلاسفةُ والجلاّدون، وبسطوا أمامَها الكتبَ والْمَشارِطَ والبلطاتِ وأُنشوطاتِ المشانق، ليثبتوا لها أنّ الموتَ موتٌ وأنّ الخلودَ وهْمٌ وليس حقيقة، فإنّ هؤلاءِ جميعاً لن يثيروا إلاّ

استغرابَها ليس أكثر.. ولو طَوّقَ الجلاّدُ عنقَها بأُنشوطةِ المشنقة، لقالت إنها ستُشنَقُ حقّاً وتغدو جثّةً لكنّها لن تموت. وعندَ ذلك، سيتراجعُ العلماءُ والفلاسفةُ والجلاّدونَ مرتجفينَ ويقولون: لا تَمَسّوا هذا المكانَ فلهو مقدَّس.. هذا المكانُ مقدَّس.

(تخرج الراوية بينما تنهض ماريا، وتأتي تاتيانا من الداخل، سترتها غير مرتّبة، وفي يدها فطيرة)

تاتيانا : عزيزتي ماريا.. كُلي فطيرةً ثانية.

ماريا : (تأخذ الفطيرة) كلاّ. (تسير نحو المكتبة وهي تدور حول نفسها وتضع الفطيرة) يجب أن أبقى خفيفة، (مستمرّة في الدوران) خفيفةً كالفراشة. أحلّقُ أسرعَ فأسرع، وأعلى فأعلى وأقتلُ ذاك الوزير. (تتوقف) وأنتقمُ لكلِّ الضحايا.

تاتيانا : (تقترب من ماريا وتمسك يديها) عزيزتي، أخشى أن تتسرّعي وتفسدي العمليّة.

ماريا : (باسمة الوجه كلّه) لا تخافي عليّ.

تاتيانا : لكنّك ترتعشين. (تلمس جبين ماريا) ورأسُك يشتعل.

ماريا : جسمي كلّه يشتعل.. توقاً إلى اللحظة الرائعة.

تاتيانا : ماريا، ماريا.. لا تندفعي إلى الموت.

ماريا : (مستفزِّة بين مزح وجدّ) إن عاجلَني الموتُ فسوف أفرح، فهو الخلود.

تاتيانا : أنت مريضةٌ بِحُبِّ الموت.

ماريا : وأنت مريضةٌ بالِخوفِ على الجميع.

تاتيانا : أنا أمُّ الجميع، وسأبقى أمَّ الجميع.

سيرجي : (آتياً من الخارج) تاتيانا دائماً أمّ ُالجميع.

تاتيانا : سيرجي.. أهلاً.

سيرجي : أهلاً بالحلوتين، في بيتِ الحلوتين.

تاتيانا : (تقرص خدّه بلطف) البيتُ بيتُ الجميع، (وتشير إلى الداخل) والفطائرُ ساخنةٌ وكثيرة.

سيرجي : أنا سبقتكما منذ ساعة.

ماريا : سيرجي.. لا تتدلّل.

سيرجي : أنا لا أغيّر عادتي مذ كنتُ في الجيش؛ رياضةٌ صباحيّةٌ منشِّطةٌ ثم إفطارٌ كامل، وبعدَهما عمل مُتقَن. (يرتّب هندام تاتيانا) فكلُّ شيءٍ في الحياةِ يجبُ أن يتِمَّ كما ينبغي، على الوجهِ الأكمل.

فاسيلي : (آتياً من الخارج) على الوجهِ الأكمل. (ويفتح سترته فيظهر على خصره حزام علّقت به ثماني قنابل من صنع يدوي، وتعلوه أربعة أحزمة ناسفة) لو رأيتم كيف سرتُ بها خلال الناس. أحسست أنّي وإيّاها كائنٌ واحد. (يخلع حزام القنابل ويرقص به بشكل استعراضي، بينما يدخل فيرنر ويقف وراءه فلا يراه)

تاتيانا : (بزجر أموميّ) فاسيلي. (يتوقّف) نحنُ لا نسعى إلى الموت.

فيرنر : ولا نتباهى ولا نتظاهر.

فاسيلي : حاضر. حاضر.

فيرنر : (يواجه فاسيلي) دعني أرى. (يعدّ القنابل والأحزمة بنظره وسبّابته) ثمانٍ فقط وأربعةُ أحزِمة!!

ماريا : حزامٌ وقنبلتانِ لكلٍّ منّا. وأنت لن تحملَ أيَّ قنبلةٍ أو حزامٍ ناسف.

فيرنر : ما معنى هذا؟!

فاسيلي : هذا ما اتفقْنا عليهِ ليلةَ البارحة.. بعد ذَهابِك.

فيرنر : (بلهجة قياديّة هادئة) تتّفقونَ على زعيمِكم بعدَ ذَهابِه؟!

سيرجي : أرجوك افهَمنا؛ القنابلُ والحزامُ دليلٌ خطيرٌ إذا اعتقلوك. أمّا مسدَّسُك وحدَهُ فمخالَفةٌ فرديّة.

تاتيانا : وأنت يجبُ أن تبقى وتقودَ المنظّمة، وتعيدَ بناءَها إذا اعتُقِلنا.

فيرنر : (منافقاً) أنتم رائعونَ حقّاً، لكنْ غيرُ معقول.

ماريا : نحنُ أربعةٌ وأنتَ واحد. والقرارُ للأغلبيّة.

فيرنر : كما تريدون. (ينظر إلى ساعته) هيّا استعدّوا.

(فاسيلي يفكّ ثلاثة أحزمة فيتحزّم بواحد منها كلّ من الفتاتين وسيرجي، ويأخذ كلّ من هؤلاء الثلاثة قنبلتين ويعلّقهما بحزام بنطاله ويأخذ مسدّساً من خزانة المكتبة ويهيّئه)

ماريا : وأنتَ يا فيرنر؟

فيرنر : (يكشف عن مسدّس تحت إبطه) جاهزٌ حتى في دروسي الخصوصيّة.. (ثم بابتسامة مستفِزّة) وفي الحفلاتِ الراقيةِ.. مع الجميلات. (ثم للجميع بلهجة جادّة) هيّا، لننطلق.

(موسيقا قاتمة صاخبة ويخرجون: أوّلهم ماريا وفاسيلي، يليهما سيرجي وتاتيانا، وبعد لحظات يخرج فيرنر).

(إظلام مفاجئ)

(يتغيّر المنظر)

المشهد الثالث

قاعة في سجن القلعة

المحاكمات

(الموسيقا السابقة مستمرّة)

(إضاءة نهار)

(أمام القاضي ثلاث إضبارات: سميكة مفتوحة هي إضبارة السياسيين، ورقيقة هي إضبارة يانسن، وسميكة هي إضبارة الغجري) (الراوية واقفة في مقدّمة المكان. السياسيون واقفون في مواجهة القاضي جانبيّاً وبقربهم العريف، إلاّ فاسيلي الذي يقف أمام القاضي. القاتلان جالسان في طرف بعيد عن القاضي والسياسيين، وقربَهما يقف الرقيب. الحارس واقف بباب القاعة).

(كلّ من السياسيين يتابع محاكمة رفاقه باهتمام، إلاّ فاسيلي الذي يتابع مضطرباً يفرك يديه وساقيه خلال محاكماتهم، وينشغل عن هذا الاضطراب حين يتابع محاكمة القاتلين)

الراوية : (مع الموسيقا) كان الربيعُ يشقُّ طريقَه بينَ العواصفِ الثلجيّةِ، والأيامِ الصقيعيّةِ المكفهرّة، مشرقاً دافئاً كوجهِ طفلٍ بريء، ومُهدياً أوقاتاً غضّةً لَهْفى ومتألّقة. أمّا في سجنِ قلعةِ العاصمة، فمحكمةٌ عسكريّةٌ جَهمةٌ متعجّلة، ونشاطٌ مُريبٌ مُخادع، خلفَ جدرانٍ سميكةٍ عاليةٍ باردة. (تخرج)

(تنتهي الموسيقا)

فاسيلي : (للقاضي) أنا ابنُ تاجرٍ متوسّطِ الحال، وطالبٌ في كلّيةِ الحقوقِ لم أتخرّج. وهذه أقوالي.

القاضي : وماذا عن قنبلتَيكَ ومسدّسِكَ وعصابتِك؟ (فاسيلي يُطرق صامتاً) ماذا عن وجودِك معهم قربَ بيتِ الوزير؟ (فاسيلي لا يجيب) إلى مكانِك.

(فاسيلي يرجع إلى حيث رفاقه، بينما يتناول القاضي من الإضبارة ورقة ينظر فيها ثم ينادي)

القاضي : تاتيانا كوفالتشوك. (تاتيانا تقترب منه) أنتِ مِن مقاطَعةِ أوكرانيا، فلماذا تعيشينَ هنا وليس في مقاطعتك؟ ولِماذا تعيشينَ وحدَكِ مع زميلتِك هذهِ وليس مع أهلِك؟

تاتيانا : لأنّ أبي وأمّي كانا يعملانِ هنا في الْمَناجم، وقد ماتا بالسلّ كلاهما واحداً بعد آخَر.

القاضي : وأنت تشتغلينَ معلِّمةَ أطفالٍ في البيوتِ لكي تعيشي. (تاتيانا تهزّ رأسَها موافقة) فكيف سعَيتِ إلى مُهاجَمةِ عربةٍ قد يكونُ فيها أطفال؟! أعني عربةَ السيّد وزيرِ الداخليّة.

تاتيانا : لقد راقبْنا الوزيرَ وتحرّكاتِه؛ هو لا يصحبُ أطفاله إلى الوِزارة.

القاضي : ألا يُحتمَل أن يصطحبَ أسرتَهُ ليوصِلَها إلى أيِّ مكان؟

تاتيانا : ليس من عاداته اصطحابُ أسرتِه في تلك الساعة.

القاضي : لو أنه خالفَ عاداتِهِ لَقمتم بتفجيرِه مع أسرتِه.

تاتيانا : لم نخطّط لاغتيال أحدٍ غيرِه.. وبالمسدّس.

القاضي : فلماذا القنابلُ والأحزمةُ الناسفة؟

تاتيانا : لتأمين انسحابِنا إذا طوّقونا.. أو انتحارِنا عند الضرورة.

القاضي : وفي الحالَينِ تقذفونَ القنابل، ويتناثرُ لحمُ الأبرياء. (تاتيانا تطرق صامتة) ألا تشعرينَ الآنَ ولو ببعضِ الندم؟ (ترفع رأسها صامتة) أنا أشعرُ أنك نادمة. وسوف أساعدُكِ بتخفيفِ حكمِكِ إن ساعدتِ العدالة. فأخبريني عن منظّمتكم: هل هي خليّتُكم وحدَها أم أكثرُ من خليّة؟

تاتيانا : (متحدّية وحازمة) لن أخبرك بأيِّ شيء.

القاضي : لا تكوني عدوّةَ نفسِك بل أجيبي: هل تنتشرُ المنظّمةُ في العاصمةِ وحدَها أم في باقي المدن؟

تاتيانا : لن أخبَرك بأيِّ شيءٍ والموتُ أشرَف.

القاضي : أنا أريدُ لك الحياة.

تاتيانا : لا أقبلُ حياةً رخيصةً ودنيئة.

القاضي : (بقرف) عودي إلى مكانِك.

(تاتيانا تعود إلى حيث رفاقها، بينما يضع القاضي الورقة في الإضبارة، ويأخذ منها ورقتين ينظر فيهما واضعاً إصبعه على مكانين فيهما كأنه يقارن، ثم ينادي)

القاضي : ماريا فيفسكي.

(ماريا تقترب من القاضي)

القاضي : (يشير بإحدى الورقتين) قلتِ أمام قاضي التحقيق: إنكِ بنتُ الكاهنِ الريفي فاسيلي فيفسكي، الذي تلَبّسَهُ جنونٌ شيطانيٌّ وظنَّ أنه السيّدُ المسيح، وأحرقَ الكنيسةَ واحترقَ فيها. وقلتِ أيضاً: إن أمَّكِ أسرعَت إلى الكنيسةِ كي تنقذَهُ فاحترقت معَه.

ماريا : هذا صحيح.

القاضي : (مشيراً بالورقة الثانية) لكنّ التحرّياتِ زوّدَتنا بتقريرٍ مختلف؛ يقولُ إنك لقيطة، وإنك بنتٌ بالتبنّي لخادمةِ إقطاعيٍّ نبيلٍ توفّي منذ سنوات.

ماريا : صحيحٌ أيضاً.

القاضي : (زاجراً ومكذّباً) أأنتِ ابنةُ الكاهنِ أم لقيطة؟!

ماريا : قصّةُ حياتي لا تنفعُ المحكمة.

القاضي : أنا أقدِّرُ ما ينفعُ المحكمة.

ماريا : كما تريد.. كان عمري ستَّ سنواتٍ عندَما احترقَ أبي وأمّي. واعتبرَني أقاربي مسكونةً بالشيطانِ مثلَ أبي فوضعوني في ملجأٍ للّقطاء.. وبعدَ سنواتٍ قليلة، بدأ المشرِفونَ يحاولون اغتصابي كما يغتصبونَ

أمثالي، وكنتُ أخمِشُ وأعضُّ وأتمنّع. (يلتمع وجه القاضي بشهوة ذئبيّة) وذاتَ يومٍ جمعَت المشرِفاتُ أكبرَنا والنابتاتِ الصدور، وبعد حَمّامٍ وتمشيطٍ على غير عادة، عُرِضنا على ضيفٍ كهلٍ هو ذاك النبيل، فابتسمَ لرؤيتي وكادت عيناه تَدمَعان. ظننتُها شفقةً وركعتُ عند قدميه، فأخذني إلى قريته وسلّمَني إلى مدبِّرةِ بيتِه.. بعدَها عرَفتُ أنه معتادٌ على شراء الصغيراتِ لمتعتِه، وكلّما كبرت إحداهنّ يستغني عنها ويحوّلُها إلى خادمة.. وحين أراد جسدي توسّلتُ إليهِ بالسيّدِ المسيحِ فنهرَني وشتمَ ربّي. قاومتُه فجلدَني بحزامه حتى خارت قِوايَ فاغتصبَني. وفي الليلِ حاولتُ الهروبَ فأرجعَني خُدّامُه، وأمرَهم فقيّدوني إلى شجرة الإجاصِ في ساحةِ القرية، وألهبوا ظهري بالسياطِ حتى أغميَ عليّ، فسفحوا عليّ ماءً لأصحو، ثم تركوني مقيّدَةً أرتجِف..

القاضي : (مقاطعاً) ماذا بعد ذلك؟

ماريا : أنقذني حوذيُّ البريدِ في ظُلمةِ الليل، وأخذني إلى طبيبٍ هنا يعالِجُ الفقراءَ دون مقابل، فداوى جراحي وسألني عن حالي فأخبرتُه، ورجَوتُهُ أن يقبلَني خادمةً فقال: بل

عاملةٌ صغيرة. وبدأ يعلّمُني القراءةَ والكتابة. ومع الزمنِ درّبَني على التمريضِ وثقّفَني ثقافةً شاملة.

القاضي : ما اسمُ هذا الطبيبِ وما عُنوانُه؟

ماريا : اسمُهُ لا ينفعُ المحكمة. و عُنوانُه قذيفةُ مِدفع.

القاضي : (زاجراً) أوضحي وبلا مواربة.

ماريا : كان مشتركاً في الثورة، وكان يسعفُ الناسَ في الطريقِ والجيشُ يطلقُ النار.. فأصابته قذيفة.

القاضي : وهكذا تلقينَ تبِعاتِ أفكارِكِ وأفعالِك كلِّها، على شخصٍ ميّت.

ماريا : أنا لا ألقي تبعاتي عليه بل أفتخرُ به. ولقد وهبتُهُ روحي وجسدي في حياتِه، وبعدَ مَقتلِهِ انتسبتُ إلى المنظّمة، لكي أنتقم.

القاضي : إمّمم.. فما دورُ هذا الذي يسمّي نفسَه فيرنَر إيفانوف: هل هو زعيمُ المنظّمة كلِّها أم زعيمُ خليّتِكم وحدَها؟ وهل هو ألمانِيٌّ كما يوحي اِسْمُه، أم روسّيٌّ كما توحي كُنيتُه؟

ماريا : لا أعرفُهُ ولا يعرفُني، ولا تسألْني عن أيِّ شيءٍ يخصُّ المنظَّمة.

القاضي : (مشيراً إلى الإضبارة) التقاريرُ تقولُ إنكِ مؤمنةٌ ومتعبّدة، والإيمانُ يقتضي مساعدةَ العدالة.

ماريا : إيمانُكم ليس إيماناً وعدالتُكم ليست عدالة.

القاضي : ألا ترغبينَ في رحمتنا أو رحمةِ الله؟

ماريا : وهل تملِكُ أنتَ رحمةَ الله؟!

القاضي : انقلعي إلى مكانِك. (تعود إلى مكانها بينما يكتب في الإضبارة ويخرج منها ورقة وينادي)

فيرنر إيفانوف. (فيرنر يقترب من القاضي فيخاطبه متصنّعاً الاحترام):

السيّد فيرنر إيفانوف. أستاذُ الرياضيّاتِ وعلمِ اللغاتِ بدروسٍ خصوصيّة.. الروسيُّ المشكوكُ بهويّته وجنسيّته.. (يشير بالورقة، ويقرأ منها أحياناً) لكنّكَ بعدَ الآنَ لم تعدْ مجهولَ الهويّة. الاسمُ الحقيقيّ: فيرنر كْلاوْس. ألمانِيٌ من دْرِيسْدِن. أبوه المهندسُ المِعماري: يوهان كْلاوْس، وأمُّهُ الشاعرةُ الروسيّةُ المهاجِرة: ناتاليا لِيسكوفا. وهو الشخصُ الوحيدُ الذي تخرّجَ من جامعةِ مدينتِه بشهادتينِ في وقتٍ واحد: عِلمِ الرياضياتِ وعِلمِ اللغات. وقد نشرَ في ألمانيا

ديوانَ شعرٍ صغيراً بعُنوان: تنهّداتُ البنفسج. ثم انتسبَ في برلينَ إلى حزبٍ ثوريٍّ اشتراكيّ، وتركه حين فشل في الوصولِ سريعاً إلى الزعامة.. وقد شرّفتَ بلادَنا منذ سنتين، بجوازِ سفرٍ صحيحٍ وباسمِك الحقيقيّ: فيرنر كلاوس.. وهذه معطَياتُ الشرطةِ الألمانيّة، وبعدَها الشرطةُ الروسيّة، برقيّاً لأجلِ السرعة. (يضع الورقة في الإضبارة)

فيرنر : هذه المعطَياتُ عن شخصٍ ألمانيٍّ وليست عنّي.

القاضي : هذا الشخصُ هو الوحيدُ المطابِقُ لِمعطَياتِك، فهو أنت ذاتُك.

فيرنر : ليس لديّ ما أقولُه.

القاضي : لديكَ الكثيرُ وأنا أحذّرُك: التكتُّمُ قرينةُ جُرمٍ وليس دليلَ براءة.

فيرنر : كيف تجرِّمُ شخصاً كان يمشي وحدَه في الشارع، ومعه مسدّسٌ لأمنِه الشخصيّ؟!

القاضي : أنا أنصحُكَ بالاعترافِ وطلبِ الرحمة.. كي أنظرَ في إمكانِ تخفيفِ حُكمِك.

سيرجي : (مندفعاً نحو القاضي) كلّ مَن طلب رحمتكم أهان نفسه ثم أُعدم. ونحن لن نسترحم.

القاضي : تعال إلى هنا، ولا تتكلّمْ باسم غيرك.

(القاضي يخرج من الإضبارة ورقة بينما يرجع فيرنر إلى مكانه)

القاضي : (يشير بالورقة) هذه عريضةُ استرحامٍ إلى جلالة القيصر، رفعَها والدُك العقيدُ المتقاعد، (يستعين بالنظر إلى الورقة) نيكولاي غولوفين. فاسمعْ ما كَتبَ فيها.

سيرجي : أعرفُ ما يمكنُ أن يكتب، ولا داعي للقراءة.

القاضي : ألا تهتمُّ بأبيك؟

سيرجي : أنا أحترمُه وأشفقُ عليه؛ فقد أمضى حياتَه في الجيشِ طفلاً بريئاً بقلبٍ أبيض، ومثالاً للشرف والاستقامة. وخلال خدمتهِ كلِّها كان يقدّسُ الواجبَ والأوامر، وينفّذُها بكلِّ حماسةٍ وإيمان، لأنه كان محظوظاً ولم يَخُضْ معركةً واحدةً غيرَ شريفة.. أمّا أنا فرأيت الوَجهَ الآخَرَ للواجبِ والأوامرِ يومَ الأحدِ الدامي، أفظعِ أيّامِ الثورة: لقد قَتلَ جيشُنا ألفَ رجُلٍ وامرأةٍ وجرحَ ستّةَ آلاف.. وأُمِرتُ أنا بإطلاقِ مدافعِ سريّتي على المتظاهرينَ فلم أنفِّذ.. فسُجِنتُ مع اللصوصِ والمجرمينَ ثم سُرِّحتُ مع التحقيرِ والإهانات..

القاضي : (يقاطعه) موضوعنا هذه العريضة. فاقرأْها ووقّع عليها، فهي فرصتُك الأخيرة.

سيرجي : بل فرصتُكم الأخيرة، لتشهّروا بتخاذلي أوسعَ تشهير، وتدّعوا أني اعترفت بأني خائنٌ ومتآمِر. وبعدَها أُشنَقُ وأُرمى للشعبِ خِرقةً بالية، فلا يحترمُ قضيّتي أحدٌ ولا يغضبُ لموتي أحد. (القاضي يدقّ بيده على الطاولة) تريدون من أمثالي أن يطلبوا الرحمةَ كي يسقطوا، أمّا أنا فلن أسقط.

القاضي : ولن تكونَ بطلاً لأنّ الإرهابَ ليس بطولة.

سيرجي : نحن نعرف كيف تكون البطولة. وقد لجأنا إلى العنفِ كي تكفّوا أنتم عن العنف، (القاضي يقاطعه بالدقّ على الطاولة) عن تسليطِ جيوشِ المخبرينَ والشرطةِ السرّية، (القاضي يدقّ على الطاولة) عن السَجنِ والتعذيبِ الوحشيِّ والتصفيةِ الجسديّة، (القاضي يدقّ على الطاولة) والمحاكماتِ السريعةِ والمشانقِ الجاهزة. (القاضي يدقّ على الطاولة)

سيرجي : (بعد لحظة صمت) هذا ردّي على فرصتك الأخيرة. (ويعود إلى حيث رفاقه)

(القاضي يضع عريضة الاسترحام في الإضبارة ويغلقها، ثم يتناول إضبارة يانسن)

(خلال المحاكمتين التاليتين تظهر على رفاق فيرنر ردود أفعال يحاولون ضبطها، أمّا فيرنر فيبقى منعزلاً هادئاً هدوءاً العلماء، مستغرقاً في لعبة شطرنج يتخيّله)

القاضي : (يفتح إضبارة يانسن ويخاطب الرقيب) إيفان يانْسُن.

يانسن : حاضر سيدي.

الرقيب : (بعد أن يقود يانسن إلى المكان المطلوب) قف هنا ولا تتحرّك.

القاضي : إيفان يانسُن، من أيِّ مقاطعةٍ أنت؟

يانسن : أستونيا.

القاضي : متزوّج؟

يانسن : ما في متزوّج.

القاضي : منذ متى تشتغلُ في روسيا، عند الْمُزارع لازاريف؟

يانسن : إتنين سنة سيدي. آجير زيراعي، عامل فقير.

القاضي : أجبْ على أسئلتي بلا إضافات. لماذا كنت تحقد على سيّدك؟

يانسن : (للرقيب) أيش يعني: تحقدِ؟

الرقيب : يعني: ما في حبّيت سِيدَك، يعني: إنتَ ليش ما في حبّيت سيدَك؟

يانسن : (للقاضي) سيدي، معلّم لازاريف دايماً قالِت: يانسن كسلان، يانسن سكران. وبعدين أُضربني، (ويصحح) يعني: أُضربك. (القاضي يخفي وجهه قليلا) يعني: معلّم أُضرب يانسن، يانسن إضرب حُصان. حُصان صارت مجنون وَحْدَك.

القاضي : (وقد بدأ يتمتّع باللعبة) آ، هه؛ وكيف حاولتَ أن تغتصب الطباخة؟

يانسن : ما في مفهوم سيدي.

الرقيب : يا أبله، كيف حاولت أن تنام مع الطباخة؟ يعني: على الطبّاخة..

يانسن : (للقاضي) سيدي، طباخة كانت سمين أبيض. أنا قالت: ليش ما نامِت سَوَا سَوَا؟

القاضي : آ، هه؟

يانسن : طباخة أُضرب وجهك. قالت: يانسن مَخطة.. (ومشيراً إلى نفسه) إضحَك عليك سيدي.

الرقيب : (غاضباً) إضحَك عليك وحدَك.

القاضي : (ليانسن، بعد أن ينظر إلى الرقيب نظرة رادعة ومبتسمة) وكيف قتلت سيّدك؟

يانسن : أنا ما أُقتُل معلّم. أنا أُضرب معلّم سكّين خفيف خفيف، معلم ماتت بعدين وحدَك.

القاضي : كاذب.. ومستعجل على المِشنقة.

يانسن : لا، سيدي. أنا ما في مِشنقة.

القاضي : إذن، اِحكِ الحقيقة.. احك لنا كلّ شيء.. لكي لا تُشنَق.

يانسن : سيدي، في قرى صار جريمات أكتَر: ناس إركَب حصان بالليل، أُهجُم على مزرعة، أُسرُق، أُقتل، إحرِق مزرعة أُهرُب. دَرَك ما إمسك حدا. حكومة فلتان سيدي. بعدين أنا فكِّر: أنا كمان أُقتل معلم، أُسرق مصاري، أُهرب. أيش يطلع مِنها؟

الرقيب : (مقلّداً وساخراً بعدوانيّة) ما يطلع مِنها شي.

القاضي : (بعد أن يستر وجهه بالإضبارة قليلاً ليخفي ضحكة أو ابتسامة، ويتنحنح) إح، إحم.. وبعدها؟

يانسن : بعدين، أنا راحت مطبخ، إقفِل باب مطبخ، إحبس طباخة جوّا. بعدين أنا راحت قصر معلّم، إمشي ورا

معلّم خفيف خفيف، أُضرب سكين فنلندي أربعة خمسة مرّة. معلّم وقعت. أنا إرمي سكين بعيد، أخدِتْ مصاري جِزدان معلّم، وْأُهرب غابة.. هادا كلُّه سيدي.

القاضي : كلا. أنت رجَعت في الليل، وحاولت أن تحرق المزرعة.

يانسن : سيدي أنا خافت كتير سيدي، فكَّر معلمّ ماتِت ما ماتِت ممكن سيدي. ممكن خبِّر درك سيدي. أنا كمان فكَّر: لازم إحرق مزرعة وْكُلُّه كلّه. أنا إرجَع نصِّ الليل. إمسك كبريت. شعِّل شعِّل، كبريت إطفي. كبريت بردان سيدي. أنا شعّل كمان سيدي، شعِّل شعِّل شعِّل هوب، دركي بارودة إرفع إيدك.. هادا كلّه سيدي.

القاضي : (للرقيب، مغلقاً الإضبارة) أرجِعْهُ إلى مكانه.

(الرقيب يومئ للعريف فيقترب العريف من يانسن ويقبض على ذراعه)

يانسن : (للقاضي، ثابتاً في مكانه) يعني أنا ما في أُشنُق؟

القاضي : نحن لا نشنُقُ في المحكمة.

يانسن : (للرقيب) شفتي؟ هي قالت ما في أُشنُق.

العريف : هيّا تحرّك. (يقود يانسن إلى مكانه السابق)

(القاضي يفتح إضبارة الغجري وينظر فيها)

القاضي : (للعريف) الثاني.

العريف : (وهو يحاول أن يمسك الغجري ويتلّه) تعال يا غجري.

الغجري : (وهو ينتر العريف جانباً) أعرفُ كيف أمشي.

العريف : هيّا وأغلِق فمَك.

(الغجري يكشّر عن أسنانه مطبَقةً ويبصق مِن بينها على الأرض أمام العريف)

العريف : ولا تبصُق في المحكمة.

(الغجري يُعرض عن العريف ويسير حتى يقف أمام القاضي، ويتبعه العريف ويقف جانباً)

القاضي : أخيراً وقعتَ يا غجري.

لغجري : (مصحّحاً) الغجري لقب وليس كُنية. اِسمي ميخائيل غولوبيتس، وأنا من مقاطعةِ أريول.

القاضي : وما هو عملُك؟

الغجري : قاطع طريق.

القاضي : هكذا، بصراحة؟!

الغجري : أنا لست من أهل الموضة، الذين يسمّون أنفسَهم مُصادِري مُلكيّات.

القاضي : وأنا سأخفّفُ عقوبتَك.. إن كانت إجاباتُك هكذا سريعةً وصريحة.. فمن شركاؤك؟

الغجري : شركائي، ها؟

القاضي : أعني أفرادَ عصابتِك.

الغجري : اقبِضْ على الريح.

القاضي : تأدّبْ في حضرة المحكمة.

الغجري : مؤكَّد.

القاضي : (يحمل كدسة أوراق من الإضبارة ويشير بها) أنت ملاحَقٌ بخمسٍ وعشرينَ قضيةً جنائية: (يضع الكدسة في الإضبارة المفتوحة) سكرٌ وعربدة.. سرقة.. قطعُ طريق.. نهبٌ مسلّح.. وجرائمُ قتلٍ في ظروف غامضة.. وكلّها محفوظةٌ في سجلاّت العدالة.

الغجري : والدركُ توقّفوا عن ملاحقتي بها كلِّها.

القاضي : لأنّهم لم يقبِضوا عليك متلبّساً، ولم يجدوا أدلّةً كافية. أمّا جريمتُك الأخيرة، فثابتةٌ بالأدلّة القاطعة.

الغجري : وما المطلوب منّي؟

القاضي : المطلوبُ إجاباتٌ مختصَرةٌ صادقة.

الغجري : مؤكَّد.

القاضي : (يستعين بالنظر إلى الإضبارة) يفيدُ شهودُ الجريمة.. بأنك أنت وعصابتَك.. وفي ليلة السابع والعشرين من آذار.. وفي الطريق إلى أريول.. هاجمتم جماعةً من تجّار الخيول. (الغجري يهزّ رأسه إيجاباً) وسرقتم خيلاً ونهبتم مالاً وقتلتم ثلاثةَ رجال.

الغجري : نحن أهالي أريول أصحابُ رؤوسٍ مثقوبة؛ لصوصٌ من الدرجة الأولى، بل أعاجيبُ لكلِّ اللصوص. أمّا قريتي فهي عاصمةُ اللصوصِ بلا مُنازع.

القاضي : واضح.. واضحٌ أنك صادقٌ وشريف، ولا تحاولُ التضليلَ بالكذبِ والإنكار.

الغجري : لماذا الكذبُ والإنكار؟ ها؟ في هذه المحكمةِ كلّهُ إعدام.

القاضي : لا، لا، سأنظرُ في تخفيفِ حُكمِك.. فمَن هم جماعتُك؟

الغجري : وهل يخونُ الزعيمُ جماعتَه؟!

القاضي : أنتَ الآنَ في قبضتنا وهم بعيدونَ ولا يهتمّون.

الغجري : اقبِضْ على الريح.

القاضي : ألم يخطُرْ في بالكَ أنهم هربوا من المعركة، ثم خانوك وأخبروا الشرطة؟

الغجري : وهل كنتَ أنت معنا؟

القاضي : كيف قُبضَ عليك إذنْ، وأنت مشهورٌ بالمراوغة والسرعةِ الخاطفة؟

الغجري : مسألةٌ بسيطة: انتهت ذخيرتي وأنا أغطّي هروبَ الرجال.

القاضي : (متهكّماً) رجولةٌ وزَعامة.

الغجري : وسوف أبوحُ بشيءٍ مهمّ.

القاضي : بدأتَ تفكّرُ الآنَ ورأسُك غيرُ مثقوب، فما الشيءُ المهمّ؟

الغجري : الإشارةُ التي أعطيها لهم عند الهجوم. (يُدخل إصبعين في فمه ويخرق الجوّ بصفير قويّ متعاقب)

القاضي : (للعريف) أرجِعه إلى مكانِه.

(الغجري يعود إلى مكانه السابق ويتبعه العريف، بينما القاضي يغلق إضبارة الغجري)

القاضي : (للسياسيّين) أمّا أنتم الخمسة، فما زلتُ أنتظرُ منكم إعلانَ توبةٍ واسترحام.

فاسيلي : (مقترباً من القاضي) أنا، أريدُ أن أُوضِحَ أنني.. أريد أن أوضحَ أنني.. (يلوب مرتبكاً)

القاضي : أنا أصغي وأنتظر.

فاسيلي : أنا اشتركتُ في التخطيطِ للعمليّة. لكنني، (يلقي على رفاقه نظرة خائفة) لكننا لم ننفّذ أيَّ شيء؛ قبضوا علينا في الطريق؛ يعني: قبل أن نفعل.

القاضي : تذكّرْ أيّها الحقوقيّ: التخطيطُ للجريمة جريمة، والتسلُّحُ بالقنابلِ جريمة، والسيرُ للتنفيذ جريمة.

(فاسيلي ينظر إلى رفاقه مستغيثاً)

القاضي : دعْكَ منهم فلن ينفعوك.. واطلب الرحمةَ كي تنقذَ روحَك.

فاسيلي : (صارخاً) بعدَ الإعدامِ لن يبقى شيءٌ لأنقذَه.

القاضي : (صارخاً) اِرجِعْ إلى مكانِك.

(فاسيلي يرجع إلى حيث رفاقه)

القاضي : (ناهضاً) رُفِعَت الجلسة.

(إظلام مفاجئ وموسيقا)

(يتغيّر المنظر)

المشهد الرابع

زنزانة الغجري ويانسن

السجّان يتسلّى

(إضاءة مساء)

(الغجري في العمق نائم جالساً ورأسه بين يديه)

(يدخل الرقيب حاملاً نصفَي رغيف سميك أسود، يتبعه الحارس حاملاً قصعتين)

(هذه القصعة طاسة لطعام شخص واحد، خلافاً لمعناها الأصلي وهو أنها تتسع لطعام جماعة)

الرقيب : هيه يا غجري.

(يانسن يقترب متطفّلاً بينما ينهض الغجري ويقترب)

الرقيب : (زاجراً) أنا أنادي الغجري.

يانسن : (في مكانه) مفهوم.

الغجري : (ناظراً إلى القصعتين) شوربةُ ملفوفٍ وخبزٌ أسود؟!

الرقيب : لا يا مولاي. كافيار.

الغجري : يعني شرّفتَنا كي تتسلّى؟!

الرقيب : أعندك مانع؟

الغجري : (يبصق على الأرض جانباً)

الرقيب : كفَّ عن البصاق يا أغبَر. وَسّخْتَ القلعة كلّها.

الغجري : وأنت وَسّخْتَ الدنيا ولا أحدَ يعترض.

الرقيب : ستُشنق على كلّ حال.

الغجري : (جاذباً قصعة من يد الحارس) هات.

الرقيب : (قاذفاً قطعة خبز في القصعة) خذ.

(الغجري يبصق على الأرض أمام الرقيب، فيردّ الرقيب بالمِثل ويتواجهان بصمت حانق)

يانسن : (للرقيب، بلهجة ذليلة) أنا ما في قصعة؟

الرقيب : لا واللهِ ما في قصعة.

(الغجري يضع قصعته وخبزته على الأرض ويتفرّج)

الرقيب : (ليانسن) منذُ أيّام وأنت في ضيافتنا تأكلُ وتنام. أما الآن فلا تحتاجُ قصعة.. لأنك سوف تُشنَق.

يانسن : أنا ما في أُشنُق. القاضي قالِت في المحكمة أنا ما في أُشنُق.

الرقيب : (بلهجة يانسن) القاضي قالِت ما أُشنُق في المحكمة. يعني أُشنُق برّا. (ثم بلهجته) وأنت غبيّ. بليدٌ وتتشاطر. تريدُ أن تَقتلَ دون عقوبة؟

يانسن : أنا ما أَريد أُشنُق.

الرقيب : ماذا تريد إذن؟ فودكا وطبّاخة؟

يانسن : طبّاخة حُمار.

الرقيب : إذن تريد فودكا؟

يانسن : أنا كانت إشرَب فودكا إشرَب.. إركَب زحّافة طير عالثلج. أُخبُط عامود تلغراف؛ أُخبُط يمين، أُخبُط شمال، غَنّي.. غنّي عالي عالي هيه هيه..

الرقيب : فنّان، فنّان.. لكنّك سوف تُشنق.

يانسن : إيمت؟

الرقيب : بعد أيام.

يانسن : تمزحي.

الرقيب : نحن هنا لا نمزح.

يانسن : طيّب، إيمت؟ إيمت؟

الرقيب : المسألة ليست كإعدامِ جروٍ صغيرٍ في حظيرة؛ خبطةٌ بالجدار وتنتهي القضية.. في إعدام الناسِ يجتمعُ القضاة، ويتداولون، ويصدرون القرار.. (ثم بلهجة يانسن) وبعدين أُشنُق.

يانسن : بعدين بعدين: يعني ما في.

الرقيب : بليدٌ وأحمق. (ثم يومئ للحارس)

(الحارس يقدم القصعة ليانسن الذي يمسكه من يديه ويخاطبه)

يانسن : إنتي إيش تعرفي؟ في أُشنُق والاّ ما في؟

الحارس : (جادّاً) القاضي مُمكنْ إشفِقْ عليك.

يانسن : إشفِق يعني أُشنُق؟

الحارس : إشفِق يعني ما أُشنُق.

يانسن : (للرقيب) شفتي؟ هيَّ قالت ما في أُشنُق.

الرقيب : (متهكّماً، وهو يعطيه قطعة الخبز) تفزَّل. (ثم يسير ليخرج)

(يسير الحارس خلف الرقيب، بينما يسير يانسن والغجري إلى عمق الزنزانة)

(إظلام تدريجي وموسيقا)

(يتغيّر المنظر)

المشهد الخامس

قاعة في سجن القلعة

الوداع الأخير

(إضاءة نهار. دقّات متواصلة لساعة برج القلعة)

١ - (مِن يمين مقدّمة القاعة تدخل مارفا، كهلة بائسة هي أم فاسيلي، وخلفها ابنها يكلّمها وهو داخل، أي من الحركة. وخلفهما العسكري١ الذي يبقى قرب المدخل).

فاسيلي : (مرتعشاً) ما كان يجب أن تأتي. ليس إلا العذابُ ولا فائدة.

مارفا : يا إلهي!! لا داعي لهذا الكلام.. لِمَ أقدمتَ على ذلك؟

فاسيلي : أنا كنتُ أعرفُ ما أفعلُه. (ينهض) لكنّكِ لا تفهمينَ يا أمّي، لا تفهمين.

مارفا : كما تريدُ يا ولدي، هدّئ نفسَك.. (تتلمّسه) هل أنت بردان؟ (يرتعش) هل تعاني من الزُكام؟

فاسيلي : (منفتلاً عنها) آه يا أمي آه.. البردُ والزكامُ لا شيءَ الآن، (مبتعداً) وأنا كما تعلمين.

مارفا : أبوك لا يرحَمُني ولا يفكِّرُ إلاّ بنفسِه. اليومَ كلّمتُهُ بشأنِك.. فطلبَ أن أصنعَ له فطائرِ اللحمِ والبصل.

فاسيلي : أنا أعرفُه؛ لا يهتمُّ إلاّ ببطنِه وأموالِه.

مارفا : قلتُ له أنتَ تاجرٌ وعندَكَ نقود. وهذا ابنُنا، ولدُنا، اذهبْ وادفع عنه فِديةً لعلّهم يَقبلون. لكنّ التيسَ العجوزَ عانَد.

فاسيلي : أيُّ أبٍ حقيرٍ هذا، ليذهبْ إلى الجحيم.

مارفا : لا تُغضِب الربَّ يا ولدي؛ لا تجدّفْ بحقِّ أبيك.

فاسيلي : هو الذي دفعَني إلى ما فعلتُه؛ منذ طفولتي يضرِبُني كأنّي حيوان.. والآنَ لا يفهمُ أنّي سأُشنَق.

مارفا : وأنا؟ ماذنبي أنا؟ لا تعذّبْني وتَعجَلْ بِموتي.

فاسيلي : افهَموا أنّي سأُشنَق.

مارفا : لو لم تتجاوزْ على الناس.. آهِ يا ربّي لن أقولَ تلك الكلمة.

فاسيلي : ما هذا يا ربُّ ما هذا؟ لا يَحدُثُ مِثلُهُ حتى بين الوحوش.

مارفا : كفى يا ولدي كفى.. إنك تقتلُني أنت وأبوك.

فاسيلي : بل أنتما تستعجلان موتي، فهل أنا ابنُكم أم لا؟ ابنكم أم لا؟

مارفا : وأنا يا فاسيلي؟ ألستُ أمَّك؟ ألا تأخذُني بك الشفقة؟ ولكنْ ماذا في يدي أن أفعل؟ ماذا في يدي أن أفعل؟ (تبكي)

(العسكري١ يقترب من فاسيلي وأمه)

فاسيلي : سامحيني، حان وقت انصرافِك.. قبّلي عنّي إخوتي. (يقتادها خارجاً ويتبعهما العسكري١)

٢ - (مِن يسار مقدّمة القاعة تدخل أم سيرجي مع أبيه الذي يكلّمها وهما داخلان، موجّهاً تعليماتِه قبل حضور ابنهما. نيكولاي، أبو سيرجي، رجل كهل ناحل العود مديد القامة، منتصب الجذع كأي رجل قضى عمره في عسكرية حقيقية. شعره ولحيته في بياض الثلج، وبزّته بيضاء سكّرية.. داريا، أم سيرجي تقارب الكهولة، ضئيلة الجسم، وكلاهما طيّبان بريئان

كالأطفال. نيكولاي تسيل دموعه ويمسحها طَوال حواره مع زوجته)

نيكولاي : أرجوكِ اسمعي يا أمّ: سيرجي هو ابنُنا الوحيد، فلن نزيدَ آلامَهُ في اللحظةِ الأخيرة. يجبُ أن نخفّفَ عنه ونساعدَه.

داريا : ماذا عليّ أن أفعل؟

نيكولاي : يمكنُ أن تقبّليهِ وتسكتي. وبعدَ قليلٍ يمكنُ أن تكلّميه. لكنْ حين تقبّلينه اسكتي. لا تتكلّمي مباشرةً بعد القبلة. وإلاّ فسوف تقولين ما لا يجوز.. فهمتِ يا داريا؟

داريا : مفهوم. مفهوم.

نيكولاي : ولا تبكي كرُمى لله؛ ستقتلينه بالبكاء.

داريا : أنت أيضاً، كفَّ عن البكاء.

نيكولاي : أنتِ دفعتِني إلى البكاء. لكنْ أنتِ لا تبكي. هل تفهمين؟

داريا : أفهمُ يا نيكولاي. أفهم.

(يمسح دموعه جيّداً وقد لاحظ مجيء سيرجي)

(يدخل سيرجي مسروراً بهما، وخلفه العسكري٢ الذي يبقى واقفا عند المدخل)

سيرجي : (هاتفاً وهو يدخل) أبي وأمّي، مرحبا..

داريا : (تقف في مكانها كالمتخشّبة) سيريوجا، مرحبا.

سيرجي : مالكِ متخشّبة؟ تعالي إليّ. (يقترب منها ويتعانقان ثم يتّجه سيرجي إلى أبيه) مرحباً يا أبي.

نيكولاي : مرحباً يا بنيّ. (يتعانقان بقوّة ورجولة)

سيرجي : سُترتك فوّاحةٌ برائحة البِنزين، كالعادة.

نيكولاي : كأيٍّ ضابطٍ متقاعدٍ وبلا وصيف؛ أخدمُ نفسي بنفسي.

داريا : قلتُ له هذا الصباحِ دعني أنظّفْها لكنّه عنيد.. يخشى على صِحّتي.

سيرجي : وأختي، كيف حالُها؟

داريا : أختُكَ لا تعرف.

سيرجي : كيف يمكنُ لأحدْ أن لا يعرف؟!

نيكولاي : (لسيرجي) لا داعي للكذب. الجميعُ قرأوا الخبرَ في الصحيفة. (ثم لزوجته) يجبُ أن يعرفَ أنّ جميعَ أهلِهِ مهتمّون.

داريا : (لسيرجي) واللهُ يعلمُ كم تشفَّعْنا لأجلِك.. وفي كلِّ مكان.

سيرجي : لا داعي لذلك.

نيكولاي : وقد استرحَمتُ جلالةَ القيصر.

سيرجي : أعرفُ يا أبي، أعرف.

داريا : (تجهش بالبكاء) سيرجي.. سيرجي..

نيكولاي : لا تبكي فتعذّبيه.

سيرجي : لا بأسَ يا أبي، لا بأس.

نيكولاي : أمامَه موتٌ فلا تعذّبيه.

سيرجي : أمّي، أبي، أرجوكما؛ لست خائفاً من الموت.

(داريا تخنق بكاءها وتمسح دموعها بينما زوجها يريد تغيير الموضوع)

نيكولاي : (لسيرجي) أختُكَ طلبت منّي أن أقبِّلَكَ عنها.

سيرجي : قبِّلْها عنّي.

داريا : وآلُ خفيستوفْ يسلّمونَ عليك.

سيرجي : آلُ خفيستوف؟! نعمْ، تذكّرت.

(صمت قصير)

نيكولاي : (لسيرجي، متردّداً) هل.. أبلغوكم متى؟

سيرجي : لم يفعلوا.. لكنّهم وضعونا في زَنزاناتٍ مفرَدة.. يعني غداً أو بعد غد.

(صمت قصير، والأم تكبت نشيجها)

نيكولاي : (مقترباً من زوجته) اعذُريني. حان انصرافُنا.

داريا : (واقفةً، تكرّر دون معنى) لا، لا، غيرُ ممكن. ماذا يكونُ حالي بعد هذا؟ ماذا أفعلُ ماذا أقول؟

سيرجي : (يقترب منها ويمسك كتفيها بقوّة) أمّي سامحيني على آلامِك. لكنّ دولتَنا دفعَتني إلى ما فعلتُه، فلن أشعرَ بالخجلِ أو بالندم. (يترك أمه مبتعداً قليلاً) سأواجهُ الموتَ هادئاً رافعَ الرأسِ فافتخري أمامَ الجميع. افتخري بأنّي لم أسقطْ ولم أتخاذل، ولم أذرِف دمعةً واحدة. (يمدّ يديه لأمّه) والآن ودّعيني بصمتٍ وكما يجب؛ بكلِّ شجاعة. (يتبادلان قبلات صامتة)

(سيرجي يتجه إلى أبيه مادّاً يده فيتصافحان بقوة)

نيكولاي : وداعاً يا سيرجي.

سيرجي : أنت يا أبي.. إنسان نبيل.

نيكولاي : أباركُ موتَك يا بنيّ. مُتْ شجاعاً كضابط.

(يخرجون)

(موسيقا وإظلام تدريجي)

المشهد السادس

قاعة في سجن القلعة

وظيفة للغجري

(تضاء القاعة السابقة)

(يدخل الرقيب ممسكاً بيد الغجري ويليهما العريف)

الغجري : (صارخاً نزقاً وهما داخلان) إلى أينَ تقودُني أنت وعريفُك؟!

العريف : وأنتَ لماذا تصرُخ؟!

الغجري : المشنقةُ أمّنّا عليها، دعوني أرتاح.

الرقيب : اهدأْ يا ميخائيل، يا ميخائيل..

الغجري : (متعجّباً ومتشكّكاً) أراك تناديني باحترام..

الرقيب : ولن أناديك إلاّ باحترام.

الغجري : (ساخراً) مؤكّد.. كأنّ جَدّي هو جنكيزخان، وكأنّي وريثُ كنُوزه!!

العريف : يا أخانا نحن لا نَمزح.

الغجري : وأنا لا أمزح.

الرقيب : اسمعني أنا يا أغبر.. جئتُك بخبرٍ طيّب.

الغجري : هل غيَّروا الشنقَ إلى خوزقة؟

الرقيب : قلتُ اسمعْني. أفّ.

الغجري : خازوقٌ على طريقة السلطان، ها؟

الرقيب : كم أتمنى أن تتخوزق!! اسمعني واخفِضْ صوتك. (ثم يهمس) دبّرتُ لك وظيفة، هنا عندنا.

الغجري : والوظيفةُ قبلَ أن أُشنَق، أم بعد أن أشنَق؟

العريف : (بحماسة وإغراء) أنت لن تُشنَقَ بل سوف تَشنُق.

الغجري : (لكليهما) أنا.. جلاّد؟!

الرقيب : مهنةٌ كأيّ مهنة. وتبقى على قيد الحياة.

الغجري : ألم تجد غيري للوظيفة؟!

الرقيب : يا أغبر يا أغبر، ينقصنا جلاّد.. وظننت أني أنفّعك.

الغجري : (يقهقه) يا شماتتي بكم جميعاً. توجَد رقاب، وتوجَد حبال، لكنّ الجلاّد ناقص.. حلوة.

العريف : طبعاً حلوة. تشنُقُ وتشنُق.. وتبقى من الأحياء.

الغجري : لا والله. سأَشنُق لكم بعد أن أُشنَق. ما رأيك، ها؟

الرقيب : ما العملُ معك؟ خلّصني.

الغجري : قل لي أولاً، هل يشنقون عندكم مع الموسيقا، أم دون موسيقا؟

الرقيب : أحمقُ أحمق.

الغجري : يجب أن تَشنقوا مع الموسيقا والغناء هكذا: (يمثّل شنق نفسه وهو يهمهم مترنَماً)

الرقيب : (مقاطعاً) لا تتصرّف كالمجنون يا أغبر.

(الغجري يكشّر بابتسامة وحشية ويعوي عواءً ذئبيّاً)

الرقيب : كلّمني كرجلٍ عاقل.

الغجري : (ساخراً) مؤكَّد.

الرقيب : ما رأيك في الوظيفة؟

(الغجري يحكّ رأسه مفكّراً بينما تدخل الراوية)

الراوية : يا لَلروعةِ إنه الآنَ موظَّف؛ جلاّدٌ في قميصٍ أحمر، والساحةُ مكتظّةٌ بالناسِ ومنصّةٌ عالية، وهو يتمشّى عليها حاملاً سيفَهُ العريضَ اللامِع، أو مهيِّئاً كرسيَّ المشنوقِ وحبلَ المشنقة.. وكلّ شيءٍ مَرِحٌ ومبتسم.. حتى المحكومُ الذي سيُعدِمُه يبتسم..

لكنّ خلفَ الحشدِ عرباتٍ وخيولاً وفلاّحين، وخلفَهم تنبسطُ حقولٌ عامرةٌ بالمحاصيل. وأظلمَ الكونُ في عينيهِ فجأة واختنقَ نفَسُه، وصارَ قلبه قطعةَ جليدٍ متحجّرة، أَرعشَت جسدَهُ رعشةً ناشفة.. (تخرج)

الرقيب : أين شردتَ يا أخانا؟

الغجري : (منتبهاً) ها؟

الرقيب : ما رأيك في الوظيفة؟

الغجري : هل قلتَ: الوظيفة؟

الرقيب : (فاقداً صبره) نعمْ، قلتُ الوظيفة.

الغجري : (يبتسم بخبث) أنت مستعجل.. في خَطوةٍ أخرى سأعرف ما أقولُه.

العريف : ما معنى الخطوةِ الأخرى؟!

الغجري : أعني: في وقتٍ آخر..

الرقيب : متى هذا الوقت الآخَر؟ سيسألني مديرُ السجنِ فماذا أقول؟

الغجري : تقول: في وقتٍ آخر.

(إظلام مفاجئ وموسيقا)

(يتغيّر المنظر)

المشهد السابع

زنزانة انفراديّة

تاتيانا تتراجع عن الانتحار

(دقّات متواصلة لساعة البرج، مع بقعة إضاءة ليلية على تاتيانا تستمرّ طوال المشهد)

(تاتيانا تذرع الزنزانة متوتّرة، وتدخل الراوية)

الراوية : كانت ساعةُ برجِ القلعة، تدُقُّ في قلبِ الفتاةِ وترُجُّهُ وتؤلِمُه، فترى الفتاةُ الأوقاتَ بطيئةً مرهَقة، تدِبُّ في الظلماتِ على جبلٍ شاهقٍ صعبِ الْمُرتَقى، ثم تنْزلقُ وتختَلُّ وتهوي إلى الأسفلِ بأنين. ومن الأسفل، تدِبُّ الأوقاتُ بعذابٍ جديدٍ إلى ذروتِها القاتمة. فتاةٌ أمامَ الإعدامِ تعُدُّ الساعاتِ وتنتظر.. والليلُ خيلٌ سوداءُ متوحِّشة، تصهَلُ مِن بعيدٍ وبلا نهاية. (تخرج)

(الحارس يدخل متردّداً متلفّتاً حذراً وتسير تاتيانا نحوه حتى تفصلهما القضبان)

الحارس : كيف حالُكِ يا آنسة؟

تاتيانا : أنا عاتبةٌ عليك.. تأخرْتَ كثيراً بذاك الدواء.

الحارس : أعطيتُكِ مهلةً لتفكّري.. الانتحارُ جريمةٌ بِحقِّ الله.

تاتيانا : هل أخلفتَ وعدَكَ أَم خفتَ من العقوبة؟

الحارس : كلاّ، ولكنْ.. إن كنتِ مصرّةً فلا بدَّ لي.

تاتيانا : هل هو معك؟

الحارس : هو في جيبي.

تاتيانا : أنتَ نبيلٌ ورائع.

الحارس : أنا خادمُكِ يا آنسة.. أنا أرجوكِ بتواضُع.. لا تفعلي أمامي فلن أحتمِل.

تاتيانا : أنا أرجوكَ أيضاً.. أعطِني ذلك السُمّ.

(موسيقا: مارش عسكري بهيج لفرقة موسيقية بعيدة. وفي الوقت نفسه يمدّ الحارس يداً مرتعشة إلى جيبه ويخرج صرة ورق صغيرة فتخطفها تاتيانا)

الحارس : أرجوكِ لا تفعلي.

تاتيانا : (وهي تفتح الصرّة) سترى بعينِك. (ترمي المسحوق أرضاً) الآنَ أستحقُّ صفةَ البطولة. (تكوّر الورقة وتقذفها بعيداً) البطولة.

(الحارس يرسم إشارة الصليب عليها وعلى نفسه وينصرف بسرعة بينما تتعالى الموسيقا)

تاتيانا : (تهتف باتجاه الخارج) أيها الموسيقيّون.. أيّها الجنودُ الطيّبون.. احملوني على أجنحة الموسيقا.

(إظلام مفاجئ)

(يتغيّر المنظر)

المشهد الثامن

زنزانة انفراديّة

نهاية المماطلة

(إضاءة نهار)

(الغجري جالس عاقداً يديه حول ساقيه. يدخل الرقيب والعريف)

الرقيب : هيه.. يا غجري..

الغجري : ماذا تريد؟

الرقيب : مُهلتكَ انتهت ولم أسمع جوابَك.

الغجري : (ينهض ويقترب مبتسماً) بشأنِ الوظيفة؟

الرقيب : مُهلتكَ انتهت ولم أسمع جوابَك.

الغجري : (ناهضاً ومبتسماً) بشأنِ الوظيفة؟

الرقيب : (بصبر نافد) نعم، بشأنِ الوظيفة، وليس بشأنِ البُراز.

يانسن : (يصرخ من الداخل) ما أريد.

الرقيب : (صارخاً نحو الداخل) إلى جهنم.

الغجري : (للرقيب) ويسمحون لمثله أن يقتل الناس!؟ والله عجيبة!!

الرقيب : وأنت يا غجري، ألم تكن تقتل الناس؟!

الغجري : وأنت يا رقيب، ألم ترِد توظيفي كي أقتلَ الناس؟!

الرقيب : ضيّعتَ الفرصةَ يا أغبر؛ صرفْنا النظرَ عن توظيفِك.

الغجري : اشنقوا بأنفسكم إذن، عليكم اللعنة.. من البداية لا أريد.

الرقيب : فلماذا ماطلتَ إذنْ، وطلبتَ مُهلةً بعد مهلة؟!

الغجري : ولِماذا سألتني الآنَ بشأنِ الوظيفة؟!

الرقيب : كي أبشّرَك وأشمتَ بِجَنابِك؛ وجدْنا رجلاً غيرَك.

الغجري : جلادٌ جديد، ها؟

الرقيب : (بسخريته وشماتته) نعمْ سيّدي. جلادٌ جديد.

الغجري : وكيف يشنقُني ولم يتقن الصنعة؟!

الرقيب : لا تقلقْ بهذا الخصوص.

الغجري : كيف لا أقلقُ يا محترم؟ أنا الذي سأُشنَقُ لا أنت. (ثم للعريف) فأوصِ الجلاّدَ الجديدَ المحترَم، أن يُحضرَ

لوحاً من صابونِ الحكومةِ كي يدهنَ الأنُشوطة.. (ثم يشير إلى الرقيب متضاحكاً) لأنّ صاحبَكم هذا أكلَ صابونَ السجنِ كلَّه.

الرقيب : اضحك وهيّئ نفسك.. (ثم مع إشارة إعدام) اَلليلة.

(إظلام مفاجئ، وموسيقا)

(يتغيّر المنظر)

المشهد التاسع

زنزانة انفرادية

الاعتراف

(إضاءة ليليّة تدريجيّة. دقّات ساعة البرج تتوالى خمس مرّات أو ستّاً ثم تخفت بقدر ذلك أو أقلّ)

(فيرنر جالس مستغرقاً في التفكير، ويشير بيده إشارات مَن يلعب الشطرنج مع نفسه)

(تدخل الراوية)

الراوية : كانَ في ألمانيا قد هزمَ أشهرَ اللاعبينَ بالشِطرنج، ولم يخسَرْ في مئاتِ المواجَهاتِ إلاّ بضعَ مرّات. ومنذ اعتقالِهِ بدأ يلعبُ الشِطرنجَ مع نفسِهِ بِخيالِه، بتركيزٍ صافٍ وانتباهٍ هادئٍ ومستغرِق، فلا التحقيقُ والمحاكمةُ ولا قرارُ الإعدام، أمكنَ أن يشوِّشَ عليه نقلةً واحدةً

في أيِّ لُعبة، وظلَّ بالشطرنجِ يزدري الموتَ ويتجاهلُه، ويحتفظُ لنفسه بحرّيةٍ متعالية.. لكنْ مع اقترابِ النهاية، بدأَ يصارِعُ فكرةَ الموتِ فيتشوَّش، ولا يسيطرُ على تفكيرهِ ولعبِه. (تخرج)

فيرنر : (يحرّك حجر شطرنج وهميّاً ثم يكلّم نفسه مقهوراً) مات. ماتَ ملِكي وانتهت اللعبة، (ينهض واقفاً) كما انتهت لعبتي مع الزعامةِ والمجدِ في هذه الزنزانة.. لم تهزِمْني قوّةٌ بوليسيّة، ولا مُصادَفةٌ عمياءُ ولا خُطوةٌ غيرُ محسوبة، بل هزمَتْني نفسي ذاتُها.. المتفوّقةُ والطموحة.

فمنذُ أسّسْتُ منظّمتي وبدأتُ التخطيطَ للعمليّات، بدأ نجاحي بالتصاعُدِ حتى الإبهار؛ كانت خُططي مدروسةً دقيقةً مُحكَمة، فنجحَ رفاقي كلُّهم في كلِّ اغتيال، دونَ أن ينكشفَ منهم أحدٌ أو يتكبّدوا أيَّ خَسارة. والنتيجةُ أنّي فتَنتُهم وصرتُ معبوداً لهم ومَثلاً أعلى، أمّا أنا فتحجّرَ قلبي نحوَهم بسببِ الشعورِ بالعظَمة، فصرتُ أغطّيهِ بتمثيلٍ بارعٍ للتواضُع.. ومع الغرورِ نَما ازدرائي لكلِّ البشر، فصرتُ أغطّيهِ بالتعاطُفِ المتعالي، المدروسِ بعنايةٍ فائقة.

وأمّا رفاقي فاستمرّوا في طاعتي طاعةً كالعبادة، حتى ظننتُها أبديّة.

لكنني ذاتَ يومٍ، ويا لَلدهشة، وجدتُ نفسي أمامَ اعتراض..

(تختلف الإضاءة) (المشهد من الذاكرة في غرفة فيرنر)

(تدخل تاتيانا لابسة ثياباً تختلف عن ثيابها المعهودة في كلّ المشاهد السابقة)

فيرنر : تاتيانا.. أردتِني في حديثٍ على انفرادٍ وفي بيتي هنا. فهل هو حديثٌ عاطفيّ؟

تاتيانا : أرجوكَ لا تخطئْ بِحقّي وحقِّ نفسِك. فأنا أعرفُ وأنت تعرف، أنك تمقُتُ العاطفةَ وتقتلُها في نفسِك، وتعتبرُها ضَعفاً مُهيناً ومرضاً يجبُ عِلاجُه.

لكنّي أردتُ هذا اللقاءَ لأمرٍ أهَمّ: تحسينُ سُمعتِنا بين الناس، وترشيدُ استخدامِ السلاح.

فيرنر : (بهدوء واهتمام جادّ) وكيف ذلك؟

تاتيانا : أن نقتصرَ في عمليّاتِنا على المسدّساتِ ونكُفَّ عن استخدامِ القنابل، كي لا نُصيبَ الأبرياءَ ولا ينقلِبَ الشعبُ ضدَّنا.

فيرنر : هذه المسألةُ حسمْناها جميعاً مِن البداية؛ نحن لا نستهدِفُ الأبرياء، وقنابلُنا بسببِ الضَرورة.

تاتيانا : هذا غيرُ منطقيٍّ وغيرُ إنسانِيّ؛ نقاتِلُ من أجلِ الناسِ ونقتلُهم بسبب الضرورة؟!

فيرنر : في كلِّ حربٍ ضحايا أبرياء.. والضرورةُ هي الضرورة.

تاتيانا : وأنا أرى اقتراحي ضرورة.

فيرنر : فاطرحي الفكرةَ للتصويت كالعادة.. وبعدَه تُلتزَمُ النتيجة.

تاتيانا : (وهي تهمّ بالخروج) كنتُ آمُلُ أن تقتنع.. فتقنعَ باقي الرفاق. (تخرج صامتة منكسرة)

(عودة إلى الزنزانة)

فيرنر : وبعدَ أن ذهبَت راجعتُ عقلي واقتنعتُ برأيِها.. لكنّي وإيّاها خسرْنا التصويت، فتظاهرتُ باحترامِ قرارِ الأغلبيّة، وأنا أكتُمُ إحباطاً وعدَمَ احترام. وعرَفتُ فيما بعدُ أنّ الرفاقَ شعروا بِحالي وكتموا عنّي ما لاحظوه..

فبعدَ أيّامٍ قتلَ البوليسُ رفيقاً لنا تحت التعذيب، وكان مَقتلُهُ مناسَبةً لِيختبِرَ الرفاقُ ثباتَ التزامي، فكلّفوني بقتلِ المخبرِ الذي دلَّ على ذاك الرفيق. وبكلِّ بساطةٍ

ترصّدتُ حركاتِهِ وسَكَناتِه، وكمَنتُ له في زاويةٍ مظلِمةٍ وقتلتُهُ بدمٍ بارد. وحينَ رأيتُ وَجهَه الميّتَ التافه، فقدتُ نشوةَ النصرِ ولَذّةَ الانتقامِ، وفقدتُ احترامي لذاتي وقضيّتي ونشاطي كلِّه..

مِن ذلك اليوم، بدأتُ أشعرُ بقرَفٍ شاحب، وبأفعى ميتةٍ تجثُمُ على قلبي وتصيبُني بالغثيان. لكنّ كبريائي تغلّبَت على كلِّ تلك المشاعر، (يستلقي ويلفّ رِجلاً على رجل) فتظاهرت بأنّي لا أعاني شيئاً ولم أتغيّر.

(تتغيّر الإضاءة) (المشهد من الذاكرة في غرفة فيرنر)

(تدخل ماريا لابسة ثياباً تختلف عن ثيابها المعهودة في كلّ المشاهد السابقة)

فيرنر : (ناهضاً) ماريا نفسُها في بيتي أنا؟!

ماريا : (مبتسمة) نعم، في بيتِكَ أنتَ على انفراد.

فيرنر : إن كانَ لقاءً جسديّاً فهو حقٌّ طبيعي.. أمّا العواطفُ الرومنسيّة، فهي ضَعفٌ ومرضٌ مُهين.

ماريا : ضَعفٌ ومرضٌ برأيِكَ وحدَك. ولا تنسَ أنّي بعدَ الحبيبِ الذي فقدتُه، لا يَشغلُ قلبي أحدٌ ولا يلمسُ جسدي أحد. وقد أتيتُ الآنَ لكي أسألك: ما هذا التغيُّرُ الذي أراهُ في عينيكَ منذُ مدّة؟

فيرنر : (يتصنّع الدعابة) ماذا ترَينَ في عينيَّ منذُ مدّة؟!

ماريا : منذ قَتلتَ ذاكَ المخبِرَ ظهرَ في عينيكَ سرّ عميق. ولأنّكَ تخفيهِ بِمهارةٍ فائقةٍ لم يَلحَظْهُ أحدٌ غيري إلى الآن. لكنّ الرفاقَ ليسوا عمياناً ولا بُلَهاءَ وعاجلاً أم آجِلاً سيكشفونك. فما الذي تخفيهِ أيّها الشاعرُ العالِمُ والزعيمُ المناضِل؟ ما مشكلتُك؟

فيرنر : (بعد صمت) أتريدينَ الحقيقة؟ قتلُ المخبِرِ أثارَ في نفسي زوبعةً من الأفكار؛ فرغمَ اقتناعي بأنه انتقامٌ ضروريٌّ عادل، كان وجهُ المخبِرِ الميتِ يقولُ إنّي أمامَ هدفٍ تافهٍ لا يشرِّف، وشعرتُ بالقرفِ من نفسي ومنه أيضاً. وبعدَها بدأتُ أتساءل: ما جدوى كلِّ ما نفعلُه؟ وإلى أينَ نتّجهُ بأنفسِنا وبالشعبِ كلِّه؟

ماريا : إذنْ بدأتَ تشكُّ بأننا نقاومُ الطغيانَ ونسرِّعُ ثورةً شعبيّةً قادمة.

فيرنر : لكنْ أيَّ ثورةٍ ستكونُ هذه؟ وهل ستكونُ عادلةً وبنّاءةً وهي تستبيحُ دماءَ الأبرياء؟!

ماريا : هذا ليس تفكيراً بل تبريرٌ للتخاذُل. والتخاذُلُ في منظّمتنا خيانة. فتذكَّرْ عاقبةَ الخيانة.

فيرنر : عزيزتي ماريا: أنا أُصارِحُكِ بأفكاري لأنكِ جديرةٌ وقديرة.. ناضجةٌ ومتفهّمة.. وتغوصينَ إلى ما في قرارةِ نفسي دون أن أتكلّم.. وما أفكاري وتساؤلاتي إلاّ حَيرةٌ عابرةٌ وقَرَفٌ من قتلِ مُخبِرٍ.

ماريا : (بعد لحظة تفكير) أمامَكَ إذنْ هدفٌ كبيرٌ مشرِّف: وزيرُ الداخليّة.

فيرنر : مَن قرّرَ هذا الهدف؟!

ماريا : أنا ارتأيتُهُ الآن. وسأطرحُهُ غداً على التصويتِ واثقةً من الإجماعِ أو الأغلبيّة. (تسير لتخرج ثم تتوقف) وسأقترحُ أيضاً: أن لا يقتصرَ دورُكَ على وضعِ الخطّة، أن تقودَنا لتنفيذها. (تخرج)

(عودة إلى الزنزانة)

فيرنر : والآنَ أسألُ نفسي: ما أنا في الحقيقة؟ مجنونٌ يبحثُ عن حلِّ مُعضلةٍ تاريخيّةٍ في بِرك الدمّ. ومثقّفٌ مجرمٌ وسياسيٌّ مجرم، وشخصٌ قَتل ضميرَه واستبدلَ بهِ جنونَ العظَمة.. أنا كفرتُ بكلِّ البشرِ وآمنتُ بنفسي وحدَها لذا أستحقُّ الموت.. (يخرّ راكعاً) أنا أستحقُّ الموت.

(ساعة البرج تدقّ ثلاثاً ببطء)

فيرنر : (ينهض) إنها آخِرُ اللحظاتِ فمرحباً أيّها الموت، يا توءمَ الحياةِ العظيمَ العادل. اختَرتَني فاختَرتُك، وسوف أذوبُ فيك مثلَما يذوبُ العاشقُ في معشوقِه، ويذوبُ الصوفيُّ في الله..

(موسيقا ترافقه حتى النهاية) يدايَ ترتعشان. ظاهرةٌ لم أشعر بها طولَ عمري. قلبي يرتعشُ أيضاً ويخضوضِر.. قلبي يعودُ إلى الصبا والشِعرِ والفرحِ والمحبّة.. الفرحِ والمحبّة.. روحي ترتفعُ إلى ذُرى الحقيقةِ الأبديّة.. فأرى الموتَ والحياةَ في مشهدٍ فريدٍ باهرٍ؛ بَحْرانِ عميقانِ متلألئان، يندمجانِ في فضاءٍ عريضٍ بلا نهاية، والبشرُ مواكبُ مشرقةٌ بالجمال تسيرُ على قوسِ قُزح، وتغنّي تحت الشمسِ العظيمة. الشمسِ الأمِّ العظيمة. فما أحبَّكم إلى قلبي أيّها البشر. ما أحبَّكم يا جميعَ البشر. (يخرّ راكعاً ذارف الدمع) آهِ يا رفاقيَ الأعزاء. يا أحبّائي، يا أحبائي، يا رفاقيَ الأعزاء..

« تمّـــت »

الكتابة الأولـــى : ١٩٩٩

الكتابة المعتمدة : ٢٠٠٦

محمد سلام اليماني:

- عربي سوري . من مواليد حمص ١٩٤٥

- إجازة في اللغة العربية وآدابها من جامعة دمشق ١٩٧٢
- ٣٠ سنة من التعليم الابتدائي والثانوي ومعاهد إعداد المدرسين
- الكتب المطبوعة:

١- الباهية :قصة للأطفال - جائزة الشيخة فاطمة بنت هزاع آل نهيان ١٩٩٨

٢- الوسام :مسرحية للأطفال - جائزة الشيخ زايد بن هزّاع آل نهيان ٢٠٠٢

٣- اللؤلؤة: قصص للأطفال اتحاد الكتاب العرب دمشق ٢٠٠٣

٤- التمساح الطائر: مسرحيتان للفتيان وزارة الثقافة ٢٠٠٤

٥- سهرة مع البقرة: مسرحيتان للأطفال اتحاد الكتاب العرب دمشق ٢٠٠٥

٦- قضية شهرزاد مسرحية للكبار وزارة الثقافة ٢٠٠٦

٧- ماذا تقول الديوك؟ ٣ مسرحيات للأطفال اتحاد الكتاب العرب دمشق ٢٠٠٨

٨- السمكة الذهبية: خمس مسرحيات للأطفال وزارة الثقافة ٢٠١٠

- **المسلسلات التلفزيونية المنجزة:**

١- الخيزران للكبار، التلفزيون السوري ٢٠٠٠

٢- المغامر، للأطفال والفتيان التلفزيون السوري ٢٠٠٨

الطبعة الأولى / ٢٠١٣م
عدد الطبع ١٠٠٠ نسخة



تصورّ مسرحيّة (الانفجار) الثمن الفادح الذي يدفعه المثقفون أصحاب النفوس الإنسانيّة النبيلةِ، في تصدّيهم لعالَم توحّشَت فيه الرأسماليّة الأمريكية المتصهينة وانصاعت لها دول أوروبية تابعة وأنظمة عربية أجيرة تبرر عمالتها بمكافحة الإرهابِ وبالاعتدال. الوجه الآخَر لهذه الفكرة تعالجه مسرحية (الاغتيال)، مفرّقة بين الإرهاب والعمل الثوري. فكرة المسرحية هي أن الإرهاب إرهاب سواء جاء من اليمين أو اليسار، والثورة تغيير تاريخيّ ضروريّ خاضع للظروف الموضوعية والوعي العلمي، وليس مجرّد إرادة ذاتيّة وطموح للبطولة.

الهيئة العامة السورية للكتاب
وزارة الثقافة
www.syrbook. gov.sy
E-mail: syrbook.dg@gmail.com
هاتف: ٢٣٢١١٦٤
مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١٣م

سعر النسخة ٩٠ ل.س أو ما يعادلها